شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية

العدد (٤٣) ٢٠٠٦/٥/١٥



- السلفيون ومدني: معركة المصير والهوية
- بئر زمزم وأسرار نبعه الغامض والمستمر
- الصوفيون في الحجاز كفار في دين الوهابية
- رصيد السعودية في مجلس حقوق الإنسان
- تأجيل زيارة الملك لواشنطن بسبب العراق



مخطط قتل الملك يمهّد لقيام الدولة السديريّة

الملك: الضحيّة القادمة!



ظلال قاتمة على مكة

الهويّة الحجازية والقواسم المشتركة


SPECIAL REPORT 2006

Princes, Clerics, and Censors

تقرير دولي حول حرية الصحافة في السعودية



مشكلة الحريات الفكرية والصحفية في السعودية

في هذا العدد

الدولة الفاشلة

نعت الدولة بالفشل ليس إبتكاراً منا، بل يعود الى منظمة (صندوق السلام) التي تأسست عام ١٩٥٧، وهي منظمة تعليمية وبحثية مستقلة مقرها في واشنطن العاصمة. ومهمتها منع الحرب وإزالة الظروف المؤدية الى اندلاعها. ومنذ عام ١٩٩٦، تخصصت هذه المنظمة بصورة رئيسية في تخفيض النزاعات النابعة من الدول الفاشلة والضعيفة.

وتعرّف الدولة الفاشة (Failed State) بأنها الدولة التي ليس لدى حكومتها سيطرة فاعلة على إقليمها، أو ينظر اليها قسم كبير من السكان بأنها شرعية، أو لا توفر الامن والخدمات العامة الاساسية لمواطنيها، أو تفتقر لاحتكار استعمال القوة. وقد تواجه الدولة الفاشلة عنفاً فاعلاً أو تكون عرضة لأعمال عنف. وبالرغم من أن الغالبية العظمى من الدولة المدرجة في قائمة المنظمة ليست دولاً فاشلة في الوقت الراهن، الا أن القائمة تقيس الضعف والنزاع الداخلي العنيف، وبالتالي فهي قائمة دول خطر، وليست دول قد فشلت فعلاً، فقد تسير الى فشلها في حال واصلت طريقها العكسي بحسب المؤشرات التي حددتها القائمة والبالغة إثنا عشر مؤشراً على قياس فشل الدول، وتشمل مجموعة واسعة من عناصر خطر فشل الدولة مثل الفساد المتمدد، السلوك الاجرامي، الضغوطات الديموغرافية، حركة اللاجئين والنازحين، سجّل الاضطهاد أو التمييز المؤسسي، الهروب الجماعي، التنمية غير المتوازنة، التدهور الاقتصادي الحاد والمزمن، الفساد البيئي، تجريم ونزع مشروعية الدولة، تدهور متواصل للخدمات العامة، نزيف الادمغة أو هجرتها، إنتهاك واسع لحقوق الانسان، الاجهزة الامنية (دولة داخل الدولة)، ظهور النخب العصبوية، وتدخل دول أخرى أو عوامل خارجية.

وكانت أول قائمة صدرت في يوليو/أغسطس ٢٠٠٥، من قبل مجلة السياسة الخارجية وصندوق تمويل السلام، ثم صدرت قائمة أخرى في مايو/يونيو لهذا العام، بحيث زاد عدد الدولة الخاضعة للفحص من ٧٥ (٢٠٠٥) الى ١٤٨ دولة في هذا العام. بالرغم من أن الفريق العامل في هذا التصنيف يشكو من شح المعلومات حول بعض الدول، بما يجعل إخضاعها لتقييم دقيق أمراً صعباً، الا أنه سعى الى تقديم صورة أولية تتسم بالعلمية والدقة الممكنة حول أوضاع الدول إعتماداً على معلومات مستمدة من أكثر من ١١ ألف مصدر معلن وتم جمعها في الفترة ما بين يوليو وديسمبر ٢٠٠٥. ويستند تصنيف القائمة على منهجية معترف بها دولياً، وهي آلية نظام تقييم النزاع. وهذه الآلية تستهدف تقييم نزاعات العنف المحلية، وتقيس تأثير الاستراتيجيات الشارحة. بالاضافة الى تعيير مؤشرات فشل الدولة والتي من شأنها تحريك النزاع، كما تقدّم القائمة تقنيات لتقييم قابليات المؤسسات الرئيسية للدولة وتحليل إتجاهات استقرارها.

وبحسب قائمة هذا العام والصادر في شهر مايو فقد ظهرت السعودية في قائمة الدول التي فيها درجة عالية من الخطر والفساد. وبحسب قائمة الدول الفاشلة لعام ٢٠٠٥، والذي شمل ٧٦ دولة احتلت السعودية مرتبة ٤٥ بمعدل ٧٨.١ نقطة، وفي قائمة هذا العام جاءت السعودية في مرتبة ٧٣ من أصل ١٤٦ بمجموع ٧٧.٢ أي بعد الجزائر بمجموع ٧٧.٨، وتنزانيا بمجموع ٧٨.٣ وفيتنام بمجموع ٧٨.٦.

في تطبيق معايير قائمة الدول الفاشلة على السعودية، تبرز أمامنا ملفات حالكة، هي مورد اتفاق قطاع كبير من المواطنين وهي ملفات الفساد الاداري والمالي، والانتهاك الواسع لحقوق الانسان، والاضطهاد المؤسسي والتمييز بطابع جمعي على قاعدة مناطقية ومذهبية وقبلية، وتآكل مشروعية الدولة كما تنبيء عن ذلك أشكال التذمر بنوعيه السلمي والعنفي، وهيمنة المؤسسة الامنية التي أصبحت من الناحية الفعلية (دولة داخل الدولة).

يلزم الاشارة الى أن التراجع الملحوظ في وتيرة العنف لا يعني بالضرورة تلاشي مبرراته ومصادره الفكرية والاجتماعية والسياسية، فقد كان واضحاً الاسهام الفاعل لارتفاع الموارد المالية من النفط في امتصاص قدر كبير من الاحتقان الشعبي على قاعدة اقتصادية، ولكن بالتأكيد لم تعالج هذه الزيادة في المداخيل النفطية جوهر المشاكل الاخرى المرتبطة بأزمة السلطة ذاتها.

في تقريرهما حول قائمة الدول الفاشلة، تشدد كل مؤسسة (صندوق السلام) ومجلة السياسة الخارجية (فورين بوليسي)، على أن هناك تغييرات شكلية لا تنبيء بالضرورة عن تحوّلات جوهرية في الدول ولا تفضي الى تحقيق الاستقرار أيضاً، كما في مثال الانتخابات التي جرت في عدد من دول الشرق الاوسط. يذكر الفريق بأن هناك العديد من الحكومات استعملت الانتخابات كرداء لستر نزعتها التسلطية القديمة، ولذلك فإن السياسيين المعارضين للحكومة يواجهون مع قرب موعد الانتخابات التهديد والمضايقات للحيلولة دون مشاركتهم في الانتخابات وتقليص فرص نجاحهم فيها.

من جهة ثانية، فإن ارتفاع أسعار النفط والخدمات قد يملأ خزينة الدولة، ولكنه لا يؤدي بالضرورة الى بناء مؤسسات قوية. على العكس، فإن الخطوات التي تحتل قلة من المانشيتات وهي تعيين قضاة مستقلين، وتطوير الخدمات المدنية المؤهلة، وشن الحملات ضد الفشاد، هي المفتاح لتحسين مؤسسات الدولة.

فزيادة الموارد المالية لا يعني نجاحاً اقتصادياً بل قد يخفي أحياناً فشلاً سياسياً كبيراً في الدولة، ولا ريب أن مستوى التطوّر لا يقاس بالنمو بل بالتنمية، وقد فشلت الدولة السعودية في تحقيق تناسب بين مستويات التحديث والحداثة، فالعمران لم يقترن بتحسن ظروف الانسان سياسياً وثقافياً وحقوقياً، فقد تحقق الفشل في الموضوعات المرتبطة بالدولة بوصفها إطاراً لمواطنين متساويين فيما تحقق النجاح في الجزء المتعلق بتعزيز السلطة بوصفها إطاراً للحاكمين.. لقد فشلت السلطة في تأهيل مؤسساتها وأوضاعها الداخلية بحيث تمنع من تفجّر ظواهر عنفية وأشكال أخرى من التفجّر ومع زوال المؤثر المالي يتمسرح الفشل على كامل جسد الدولة مرة أخرى.

التجاذب بين الملك والسديريين

معركة السياسي في الوسط الديني

يقترب التجاذب الداخلي من خطوط حمراء كانت الاطراف جميعاً تنأى، حتى وقت قريب، عن الاقتراب منها خشية التوظيفات الايديولوجية والسياسية، والتوصيم الديني الذي يلحق بمن يخترقها. وليس هناك خط أحمر داخل الدائرة النجدية على قدر كبير من الخطورة والحساسية كالمؤسسة الدينية والعقيدة السلفية للدولة. وقد بدا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ وكأن هناك فرزاً واضحاً داخل العائلة المالكة بين مناصر عنيد للمؤسسة الدينية وبين ناقد لمجمل نشاطاتها الدعوية والاجتماعية والخيرية. وفيما يواصل الجناح السديري إسناده الكثيف للتيار الديني المتشدد، بغرض تفويت الفرصة على الرهط السياسي المحيط بالملك عبد الله في سعيه إرساء قواعد جديدة للعبة سياسية يخشى الجناح السديري أن تمكّن خصومه من تخريب تبييتاته السياسية الراهنة والمستقبلية، ينبري المقرّبون من الملك عبد الله، والذين يتطلعون الى حصول تغييرات جوهرية في البنى السياسية والثقافية والاجتماعية وصولاً الى تخفيض نفوذ وهيمنة المؤسسة الدينية على الحياة العامة.

ومنذ بدأت فصول مواجهة مفتوحة بين ما تعارف على اصطلاحه داخلياً التيارين الليبرالي والديني الصحوي أو المتشدد، والذي كان معرض الكتاب بالرياض قبل شهرين واحداً من أهم محطات الالتحام الثقافي والاجتماعي، ينشق الفضاء السياسي والثقافي عن فصول أخرى من المواجهة بين الفرقاء سواء على قاعدة تمايزات سياسية أو خصومات ايديولوجية، في مسعى لبناء اصطفافات تعين على فتح الطريق أمام تحقيق مأرب سياسية وثقافية محددة.

الصراع المتصاعد بين التيارين الليبرالي والديني يرتدي حلّة ثقافية كيما يخفي ظلاله السياسية التي تمتد الى الجناحين السياسيين الحاكمين داخل العائلة المالكة، وبطبيعة الحال، لا يعكس اصطفاف أحدهما لصالح الآخر ميولاً ثقافية لدى أي منهما، فهما يستران نواياهما وأهدافهما السياسية برداء ثقافي أو ديني. فلا الملك عبد الله ليبرالي المنزع ولا الامير نايف وأشقاؤه سلفيو الهوى، ولكن هي المصالح السياسية تملي هذه الانتماءات المفتعلة.

وعلى أية حال، فإن الجناح السديري يشعر بأن تدابير الملك ورهطه السياسي بنكهته الليبرالية تستهدف بتر امتدادته، والتي تمثل المؤسسة الدينية أبرز تمثّلاتها، فقد عمد الامراء السديريون الى إرساء تحالف استراتيجي مع رموز المؤسسة الدينية وتقديم أنفسهم كحماة عنها ومدافعين عن العقيدة السلفية.

بالنسبة للملك عبد الله، الذي يواجه ضغوطات داخلية ودولية من أجل مضاعفة الجهد لملاحقة المنابع الايديولوجية والمصادر المالية للتطرف الديني، ينزع نحو بناء تحالف داخلي قوي مؤلف من شخصيات سياسية ودينية معتدلة ذات ثقل إجتماعي كبير نسبياً من أجل إحباط أية ردود فعل تصدر عن التيار الديني المتشدد المدعوم من الجناح السديري.

وتمثّل قضية إصلاح المؤسسة الدينية المتضخمة الأشد حضوراً في أجندة الملك عبد الله، بضغط من الداخل والخارج، فالمحاولات الرامية والحثيثة من قبل الامير نايف وأشقائه وكذا عدد من أقطاب التيار السلفي المتشدد في تبرئة العقيدة السلفية من تهمة ترويج الافكار المتطرفة والمحرّضة على العنف، لم تضع نهاية حاسمة لانتشار الافكار المتشددة التي مازالت تخرج من المساجد والمدارس وحلقات الدرس الديني والكتيبات. وبالرغم من أن عملية المراجعة النقدية لمجمل التراث السلفي لم تتم حتى الآن، وربما لن تشهد البلاد هذه العملية في المدى المنظور سوى من قبل أفراد قلة يصنّفهم التيار السلفي بالخارجين على اجماع الامة أو الملة. وبين خيار المراجعة النقدية والذي بالضرورة سيصيب أضراره التأسيس الايديولوجي للدولة، وبين تطهير المؤسسة الدينية من العناصر المتشددة وفرض ضوابط صارمة على نشاطاتها، يميل الملك عبد الله الى الخيار الثاني الذي يسمح له ببناء تحالف ديني جديد بعد تحييد أو بتر مصادر التشدد في المؤسسة الدينية.

تؤكد مصادر مقرّبة من المؤسسة الدينية بأنه تم فصل عدة مئات من أئمة وخطباء المساجد في أنحاء المملكة خلال الشهور الثلاث الماضية، كما تم فصل عشرات من أئمة المساجد الذين لا يلتزمون بالخطب المكتوبة، ضمن حملة واسعة تستهدف وضع حد لانتشار الافكار المتطرفة التي يقوم بترويجها أئمة وخطباء المساجد في أرجاء المملكة. كما وضعت تدابير مشددة على الخطب الدينية من خلال الزام الائمة بنصوص مكتوبة لا يجوز لهم الخروج عليها أو استبدالها.

وفي هذا السياق ذكر موقع الاسلام اليوم على شبكة الانترنت في التاسع من مايو أن الجهات المختصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عزلت الشيخ أحمد بن عبد العزيز الشاوي – إمام وخطيب جامع "أبا الخيل" بحي المنتزه بمدينة بريدة بمنطقة القصيم — عن الخطابة والإمامة. وفي تصريح خاص لشبكة "الإسلام اليوم" أوضح الشيخ أحمد الشاوي أنه تلقى اليوم (٩ مايو) خطاباً رسمياً من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يشعره " بعزله نهائيا عن مزاولة الخطابة والإمامة دون ذكر الأسباب ". ونقل الموقع عن مصادر وصفتها بالأولية أن وزارة الأوقاف أقدمت كذلك على عزل ثلاثة خطباء آخرين في منطقة القصيم.

ويعد الشيخ الشاوي واحدا من أشهر الأئمة والخطباء بمنطقة القصيم، وقد وُصِف بأنه (خطيب متحمس يلهب مشاعر الشباب، وهم أكثر حضوره) وكان قد دعا في بعض خطاباته للتسلح من قبل الشباب في أجواء حرب العراق، وانتشر السلاح في حينه وتزايد الطلب عليه ما ادى الى غلاء ثمنه.

ورغم أن بضاعته في العلم الشرعي ليست بعالية الجودة مقارنة بمشايخ آخرين في القصيم، فإن خطابات الشاوي تفيض بالشعاراتية والحماسة العاطفية التي تتناسب مع الاغراض التحريضية. وقد اعتبر أحدهم قرار ايقاف الشاوي (أمراً متوقعاً بسبب الضجة التي يثيرها وهو ما لا يتوافق مع ما نمر به من أزمة تستدعي الحكمة والتبيان وتوضيح الأمور للناس بعمق ومعرفة وحسن تقدير)، فيما وصف آخرون مقرّبون من التيار الديني المتشدد قرار الايقاف بأنه مزعج، فيما وجّه البعض أصابع الاتهام الى من أسموهم (أهل المنكر الذين أرقتهم خطبه، وأقضت مضاجعهم، لاسيما أهل العلمنة ومن يتسمون بالإصلاحيين (المعتزلة الجدد). ويقول بعض المقربين من التيار الديني المتشدد أن (كل الخطباء والعلماء والوعاظ الذي تم ايقافهم) كانت بسبب التحريض على قتل من يصفونهم بالعلمانيين والنيل من فرق دينية مخالفة (الصوفية والرافضة) والحث على الجهاد

ودعاء للمتورطين في أعمال العنف داخل العراق.

وفي تدبير موازٍ، أعلنت وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والارشاد في الرابع والعشرين من أبريل الماضي عن بدء الوزارة في فرض رقابة الكترونية على المساجد في الرياض، في خطوة سيتم تعميمها بعد ذلك على جميع المساجد عن طريق مشروع نظام المعلومات الجغرافي الالكتروني (جي آي إس).

وقال الوزير صالح آل الشيخ في حفلة إطلاق هذا المشروع في الرياض: (إن المشروع يتيح إيجاد نظام كامل يتعلق بالمساجد، ومن ضمنه تصوير المسجد ومعرفة جميع محتوياته ومكوناته، كما يمكّن هذا النظام من رؤية الإمام والمؤذن داخل المسجد أثناء تأديتهما الصلاة)، مشيراً إلى أن هذا النظام (يمكّن المسؤولين في وزارته من معرفة حالات المساجد يوماً بيوم، وبدقة متناهية، من خلال هذه التقنية). وأضاف: (إنه بدأ فعلياً تنفيذ هذا المشروع في مساجد حي الملز (شرق الرياض)، وسيتم استكمال تغطية مساجد مدينة الرياض كافة خلال هذا العام، أو بحلول منتصف العام المقبل). ومن المقرر أن يتم تعميم مشروع الرقابة الالكترونية على كافة مناطق ومحافظات المملكة منتصف عام ٢٠٠٨

المفتي والمرأة

في رد فعل يتّسم بالحديّة، ألقى المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في الثالث من ٢٨ أبريل خطبة الجمعة تناول فيها موضوع عمل المرأة في بيع المستلزمات النسائية، والتي انطلق منها لتوجيه انتقادات شديدة اللهجة لدعاة تمكين المرأة من العمل في المجالات التي تناسب وضعها ومكانتها، حيث أعاد المفتي التأكيد على الرؤية التقليدية حول دور النساء، بأن يقرن في بيوتهن حفاظاً على العفة والصيانة والحشمة، وقال بأن ذلك هو (المأمول من فتيات الإسلام اللواتي تربين على الهدى والأخلاق الكريمة والبعد عن مواطن الريبة والشر والفساد).

وقد شكك المفتي في نوايا دعاة عمل المرأة وقال عنهم بأنهم (يكيدون للإسلام وأهله؛ من لا يريدون للأمة أن تبقى على خيرها وسماتها وكرامتها؛ فدعوها إلى العمل بجانب الرجال؛ وهيئوا لها الفرص؛ وادّعوا بذلك أنهم ساهموا في سعودة الأمة).

واعتبر المفتي أن الدعوة الى عمل المرأة هي ضد مصلحة المرأة ومحاولة لافسادها والحط من كرامتها، وقد حملت عبارات المفتي اتهامات شبه مباشرة لكل من حث على إتاحة الفرصة للمرأة كيما تدخل سوق العمل لتلبية حاجات إجتماعية واقتصادية ضرورية، ودفعها للمشاركة في العملية التنموية. المفتي خاطب المرأة في بلادنا قائلاً:(لا تظني تلك الدعايات من مصلحتك أبداً؛ ولا أن قصدهم بهذا إكرامك ورفع منزلتك؛ ولا أن الهدف من هذا إبراز شخصيتك؛ ولا أن الغاية من هذا إكرامك؛ ولكن الغاية — يعلم الله — ما وراء أولئك من مكيدة للإسلام وأهله؛ وحربا على القيم والفضائل التي تميز بها المجتمع المسلم؛ فلا يرضي أعداء الشريعة إلا أن يجردوا هذه المرأة المسلمة من قيمها وأخلاقها؛ فلا تخدعنك هذه الدعاية؛ ولا يغرنك هذه المكاسب المادية؛ ففيك من الأخلاق والقيم ما هو فوق كل هذه المادة كلها؛ فاستقيمي على الخير؛ والزمي البيت والوظائف المهيأة لك؛ دون الاختلاط مع الرجال؛ بأية ذريعة كانت؛ فإنها طريق مشوب بالشر؛ وطريق مفض إلى الفساد؛ وطريق سائر بالفتاة المسلمة لأن تحاك المرأة الغربية في قيمها وأخلاقها؛ فتفقد الأمة كرامتها؛ وتفقد الأمة سمعتها؛ وتفقد الأمة ما تميزت به من أخلاق وقيم وفضائل).

ينطوي خطاب المفتي على إتهامات خطيرة، الى جانب وضع الدعوة الى عمل المرأة في محلات المستلزمات النسائية في إطار مؤامرة قد حاكها نفر من المشبوهين، بما يثير الغرابة، خصوصاً وأنه يدرك أن هؤلاء مسؤولون كبار في الدولة، وأنهم يحظون بدعم وتأييد الملك نفسه، الأمر الذي يطرح علامات إستفهام كبرى حول الجرأة الفائقة التي تحلى بها المفتي العام في طرق أحد الموضوعات حساسية، رغم أنه كان بمقدوره تناول القضية بلغة هادئة بعيداً عن لغة التشنج والاتهام.

إن مؤشر التوتر في خطبة المفتي العام تصاعد سريعاً، وكان مليئاً بقائمة من الاحكام ذات الطابعين الاخلاقي والديني، فمن المؤامرة والافساد الاخلاقي، نجده بعد ذلك مباشرة يسبغ على الاتهامات صبغة دينية فاقعة. يقول ما نصه:(فيا أيها المنادون بهذه الذرائع السيئة: خافوا الله في مجتمع المسلمين؛ واعلموا أن سعيكم ضلال؛ وأن خطواتكم خطوات إلى الفجور والنار؛ وأن هذا المجتمع المسلم أمانة في أعناق المسلمين؛ محافظة على أخلاقه، ومحافظة على كرامته؛ ومحافظة على مبادئه وقيمه.

إن المرأة المسلمة هيئت لتربي الأجيال؛ وتعمر البيت وتساهم في الخير؛ لا أن يزج بها كل النهار وأول الليل فيما يسمى بعملها؛ وفيما يسمى بأنها تبيع للنساء، وفيما يقول ويقول أولئك؛ والله يشهد إنهم لكاذبون؛ والله يعلم أن مقاصدهم سيئة).

ولم يتوقف هجوم المفتي على جهة بعينها بل شمل شريحة واسعة تناولت موضوع عمل المرأة فوصفها بأقذع النعوت فقال (أقلام جائرة، وألسنة كاذبة؛ ومقالات خاطئة؛ سَطرت بأقلامها كل ما يحارب العقيدة والقيم والأخلاق؛ فاتق الله أيتها المسلمة ولا تنقادي لتلك الدعاية؛ ففيها هدم لكرامتك وأخلاقك، ونسخ لفضيلتك؛ وزج بك في الشبهات التي لا نهاية لها سوى الانحلال من القيم).

والسؤال المباشر هنا مالذي دفع بالمفتي الى القاء خطبة نارية وصل شررها الى القريب والبعيد، حتى يكاد اعتبارها خطبة ثورية من العيار الثقيل، والتي يندر العثور على نظير لها في كل عهود التاريخ السعودي؟.. سيما وأن المعروف عن الشيخ عبد العزيز آل الشيخ طبعه الهادىء ومهادنته لأهل الحكم، فهو مثلاً ليس في مستوى جرأة وشجاعة الشيخ محمد بن ابراهيم الذي كان يقدّم اعتراضاته الصريحة ذات اللهجة الحادة احياناً على بعض القوانين الجديدة، وإن لم يصل الى حد انتقاد سياسات الدولة، بل لم يصل المفتي العام الى مستوى جرأة المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز الذي لم يكف عن إيصال نصائحه الهادئة الى الامراء. علاوة على ذلك، لم يكن إختيار الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتياً سوى لكونه مهادناً وهادئاً ومطيعاً.

أسئلة عديدة تثيرها الخطبة هذه، شأن خطب أخرى أقل حدّة حول قيادة المرأة للسيارة ومشاركتها في المنتديات الاقتصادية وغيرها، والتي كان للمفتي رأي فيها، ولا يمكن العثور عن إجابات ما لم نعيد احضار لعبة التجاذب الجارية في أعلى هرم السلطة. يذكر المقرّبون من العائلة المالكة بأن المفتي حليف استراتيجي للجناح السديري وبخاصة للأمراء الثلاثة (نايف وسلطان وسلمان)، ولهؤلاء طريقة حاذقة في إثارة (الغيرة) الدينية لدى المفتي من خلال سرد رواية انتحابية تفيض بمفردات التحريض على خصومهم من خلال إثارة قضايا اجتماعية ذات أبعاد دينية. فيكفي الامراء أن يصوّروا الاخطار والمفاسد الاخلاقية التي سيتعرض لها المجتمع من جراء السماح للمرأة بالعمل وقيادة السيارة، ووضعها في سياق مؤامرة غربية وصهيونية وشيطانية لتحريك العاطفة الدينية للمفتي وكبار علماء المؤسسة الدينية كيما ينبروا للدفاع عن بيضة الاسلام وحياض المسلمين وكرامة الامة!! هكذا هي الطريقة التي يتبعها الامراء في تحريك العلماء، وهكذا أيضاً يستجيب العلماء!!

يقول العارفون بأن من المستحيل على المفتي العام أن يجهر بلهجة حادة وأن يمتلك جرعة هائلة من الجرأة في خطبة نارية كهذه لو لم يحصل على ضوء أخضر من الأمراء السديريين، الذين يردّون على تدابير الملك عبد الله بقصقصة أجنحة السلفية المتشددة الحليفة للجناح السديري عن طريق تحريك الاقطاب الدينيين الكبار والعبث بمشاعرهم الدينية.

وفيما يدخل المتجاذبون سياسياً المنطقة المحظورة في تعبير عن بداية زوال الخطوط الحمراء، يتصاعد التواجه الثقافي بين التيارات الفكرية التي تقتصر الآن على الليبرالي والسلفي المتشدد ولكنه بالتأكيد سيفتح الباب على صراعات فكرية أخرى لاحقاً، تبعاً لتمدد أفق التجاذب السياسي.

الدولة السديرية قادمة!

ملامح مخطط سديري للإنقلاب على الملك

السديريون وعبر جهاز الشرطة يأمرون بنزع صور الملك من السيارات والمحلات وبشكل علني في أحياء من مدينة الرياض

لا يعتقد كثيرون أن ما يجري في المملكة من أحداث سلبية جاءت اعتباطاً، أو بدون محرّك ودافع، يستهدف الإضرار بالملك وسمعته ومن ثم التخلص منه عبر انقلاب داخلي.

يقول مراقبون للوضع المحلي، أن الملك عبدالله، وبالرغم من كونه ملكاً ضعيفاً، وبالرغم من أنه يسعى الى تجنّب الصدام مع إخوته السديريين (خاصة الثلاثي سلطان ونايف وسلمان) حتى وإن جاء ذاك على حساب موقعه كملك، وعلى حساب رؤيته في تسيير الدولة، وعلى حساب صلاحياته كملك.. رغم هذا فإن الجناح السديري يشتكي من ثلاثة أمور أساسية من الملك الجديد:

الأمر الأول، ويتعلق بمنصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، حيث يصرّ الجناح السديري على تعيين نايف - وزير الداخلية - لهذا المنصب، في حين يريد الأمير عبد الله تعيين أحد إخوته الآخرين حتى لا تصبح البلاد مزرعة خاصة للسديريين مرهونة بيدهم لأمد طويل.

الأمر الثاني، ويتعلق بتشدد الأمير عبد الله فيما يتعلق بالأموال ومصروفات الدولة والأمراء، وقد حاول الملك ضبط المصاريف، لكنه حسب قوله نجح مع الجميع إلا مع الثنائي الشرس سلطان ونايف. وما عدا هؤلاء فإنه أوقف تعديهم على ميزانية الدولة مثل الأمير عبدالعزيز بن فهد. ويقول محللون اقتصاديون بأن الحسنة الأكبر للملك عبدالله هي أنه متشدد في مسألة المال العام بالقياس الى الهدر الكبير الذي كان في عهد فهد والذي يريد السديريون الإستمرار فيه.

الأمر الثالث، ويتعلق بصفقات الأسلحة، حيث جرت العادة أن ينهب السديريون - خاصة سلطان وزير الدفاع وولي العهد - المليارات باسم تسليح الجيش، وقد رأينا الخلاف ينفجر بصورة واضحة فيما يتعلق بصفقة التسلح من بريطانيا التي أرادها سلطان والتي تكلف خزينة الدولة أكثر من سبعين مليار دولار! في سابقة لا يوجد لها مثيل في التاريخ كله! وقد استطاع عبدالله - الملك حتى الآن الإلتفاف حول الصفقة وإيقافها، ومن المحتمل أن تجري تسوية لامضاء بعض فصول الصفقة، صفقة (النهب السديري).

المتشددون الوهابيون - يغطون على نقائص الجناح السديري الذي يموّل ماكنة التشدد بالمال، ويحرّض على الملك بين صفوف التيار السلفي المتطرف

وبالرغم من أن الملك قد انصاع لرأي التيار السديري بعدم الإقدام على أية اصلاحات سياسية، فإنه لم يخف اندفاعه باتجاه لبرلة الحياة الإجتماعية في البلاد، وصار من الواضح أن هناك اصطفافاً بين تيارين، أحدهما يتكون من اللبراليين الذين يدعمون الملك والآخر من المتشددين الوهابيين الذين يدعمون مشروع السديريين.. ولذا نلاحظ صراعاً متزايداً بين التيارين حيث يقوم الوهابيون بالطعن في أهم الشخصيات المقربة من الملك، ومطالبته بإقالتهم كوزير الإعلام اياد مدني ووزير العمل غازي القصيبي، في حين


المتآمرون!

أنهم - أي المتشددين الوهابيين - يغطون على نقائص الجناح السديري الذي يموّل ماكنة التشدد بالمال، ويحرّض على الملك بين صفوف التيار السلفي عامّة.

واذا كانت الخلافات بين جناحي الملك وإخوته السديريين باتت واضحة المعالم لكل المراقبين، فإن الجناح السديري الذي أمسك بمفاصل السلطة منذ إسقاط الملك سعود وحتى الآن يخطط للقيام بانقلاب شبيه في بعض فصوله بالانقلاب الكويتي الذي قام به الشيخ صباح الأحمد الصباح.. بحيث:

١ - يتم التخلص من الملك بأقل كلفة.

٢ - يتولى السديريون الملك ويصدرون تعديلاً يتضمن بقاء السلطة في يد الجناح السديري، يقصى على أثره أبناء عبد العزيز الآخرين من الترشح الى الملك حسب السن، وإن كانوا سيشاركون لفترة زمنية في إدارة السلطة.

٣ - تنتقل السلطة من الآباء الى الأبناء بعد تولي سلطان ثم نايف ثم سلمان الملك. على أن يتم ترتيب انتقال السلطة الى الجيل الثالث من آل السديري قبل رحيل الثلاثة الكبار آنفي الذكر.

ولكن كيف يمكن التخلص من الملك عبدالله.

ليس هناك سوى الطريقة العنفية، وهي تعني هنا تحديداً إحياء مشروع قديم كان قد تداوله السديريون في بداية التسعينيات


هل يكون الملك الضحية

الميلادية من القرن الفائت، وتقضي اغتيال الملك بالسمّ، او أي وسيلة أخرى. وقد وصف أحد المقربين من عبدالله هذا الأمر حينها بأنها (وسيلة غدر).

لكن السديريين يتطلعون فيما يبدو لحياكة مؤامرة أكثر انسجاماً.

وحسب مصدر مقرب من الملك عبدالله فإن ما يقوم به السديريون في الوقت الحالي هو تأجيج الشارع السعودي ضد الملك وتشويه سمعته تمهيداً للتخلص منه. واعتبر المصدر أن مسألة سقوط سوق الأسهم السعودي وتأثيراتها على أغلبية الشعب لم تكن بسبب عوامل اقتصادية بحتة، ولا بسبب عوامل نفسية ثابتة، بل مصطنعة. واتهم بعض المضاربين من الأمراء المعادين للملك وبينهم عبدالعزيز بن فهد وأبناء السديريين الثلاثة ومن يعمل لهم في السوق بأنهم يستميتون لخفض مؤشر سوق الأسهم، عبر الشراء اليومي

الحسنة الأكبر للملك عبدالله هي أنه متشدد في مسألة المال العام بالقياس الى الهدر الكبير الذي كان في عهد فهد

لكميات من الأسهم المؤثرة ومن ثم بيعها بسعر أقل، وهذه عملية ـ حسب المصدر ـ لا يقوم بها مضارب عاقل يبحث عن ربح مادي، ولكن من يقوم بها شخص له أجندة سياسية. وتابع المصدر بأن الملك على اتصال مستمر برئيس هيئة سوق المال ورئيس مؤسسة النقد ووزير المالية، وبالتالي يتوقع المصدر المقرب أن الملك لا بدّ وأن يكون على اطلاع بأسماء الأشخاص والجهات التي تقف وراء الأزمة، والذين لا تستطيع هيئة سوق المال التصدي لهم ومحاسبتهم، رغم انها اوقفت بعضاً منهم بأمر من الملك (ولم تعلن أسماءهم).

وفعلاً فإن مؤشر الرأي العام في المملكة بدأ بالإنقلاب على الحكم وعلى الملك بالتحديد، فهو في قمة هرم السلطة وهو المسؤول مهما كان وضعه ورأيه، ويلاحظ أن العداء للملك طافح في كل المنتديات السلفية على وجه الخصوص، وهذا واحد من نتائج التحالف القوي بين الجناح السديري والمؤسسة الدينية بكل أفرعها بما فيها المتطرفة. وقد وصل الامر الى حد نزع صور الملك عبدالله من السيارات ومن المحلات، قام بها وبصورة فظة رجال الشرطة التابعين لوزير الداخلية وبشكل علني في كثير من أحياء مدينة الرياض، حسب ما تقوله مواقع سلفية على الإنترنت. بعض رجال الشرطة زعموا أن نزع الصور جاء بأمر من الملك نفسه، وهذا أمرٌ في غاية الغرابة أن يهين المرء نفسه خاصة اذا كان ملكاً من آل سعود! ولكن من المحتمل أن تكون الأوامر التي قدمتها قيادة الشرطة وغيرها استندت الى تبرير أن ذلك بطلب من (خادم الحرمين الشريفين نفسه).

وتعدّى تشويه صورة الملك شعبياً حدود المباح، فقد قام السديريون، المعروفون على نطاق شعبي واسع بلصوصيتهم، بتشويه صورة الملك عبر دسّ الكثير من الأخبار حول سرقاته وممتلكاته وما شابه، وكأن السديريين يريدون القول للمواطن بأن مليككم الذي تعتقدون أنه عف اليد هو مثلنا!

الأخطر من هذه المرحلة ما يليها.

فإذا ما نضجت طبخة الإثارة للشارع، خاصة الشارع السلفي المتطرف، الذي ينظر الى الانفتاح الاجتماعي كجريمة ضد الدين، وإذا ما شحن المواطنون بوضع اقتصادي غير مريح، فإن الخطة المفترضة للجناح السديري أن تقوم الجماعات المتطرفة الوهابية باغتيال الملك او بتفجير موكبه بتسهيل أو بإيحاء من رموز التيار السديري، وبتسهيل من أجهزة وزارة الداخلية.

اذا لم يحدث هذا، فإن القدر المتيقن من هذا التحريض هو إضعاف مركز الملك السياسي، فيتنازل لآل فهد عن أهم ما تبقى من صلاحياته كملك، فيكون شبيهاً لسعود في سنواته الأخيرة، أو خالد طيلة عهده.. وبالتالي فإن غنيمة السلطة ستؤول اليوم أو غداً للجناح السديري بعد موت الملك (طبيعياً) خلال بضع سنوات على الأكثر.. فيكون وجود عبدالله على رأس السلطة مجرد فاصلة انتقالية الى مثواها ـ اي السلطة ـ الأخير، أي أحضان السديريين وابنائهم.

تظاهرات في القطيف ضد اعتقال شيخ شيعي ينتقد هدم الوهابيين للتراث الإسلامي في الحجاز

على بعد عدة مئات من الأمتار من آبار وأنابيب النفط في مدينة العوامية في محافظة القطيف طالب متظاهرون مساء السبت ٢٠٠٦/٥/١٣ السلطات الأمنية بإطلاق سراح الشيخ نمر باقر النمر الذي اعتقل في ٥/١٠ على جسر البحرين ـ السعودية. وذكرت مصادر عليمة أن الشيخ النمر كان في البحرين للمشاركة في ملتقى دولي حول القرآن الكريم، وأن السلطات الأمنية كانت قد وجهت له استدعاءً أمنياً رفضه، وحين عاد من الملتقى اعتقل واقتيد الى سجن المباحث بالدمام.

وخرج المئات من ساكني المدينة إضافة لعدد من المدن والقرى المجاورة رافعين لافتات عبرت عن حنقهم لما حصل للشيخ النمر، وتجولوا في الشوارع متظاهرين غير آبهين بقوات الأمن، وقد تسبب تسبب الموج البشري بقلق لدى رجال أمن مركز الشرطة الوحيد في المدينة، والذين أغلقوا أبواب المركز بانتظار التعليمات، ويبدو أن السلطات الأمنية فضلت عدم المواجهة.

ونقل عن شهود عيان أن الحكومة السعودية أقامت نقاط تفتيش كثيرة في مدينة القطيف ومداخل العوامية، وأن تعزيزات أمنية وصلت إلى شرطة القطيف، في حال تطورت المواجهة مع رجال الشرطة. وتعتبر العوامية واحدة من أهم مراكز التوتر بين الشيعة والحكومة السعودية، حيث عرف أهل المدينة بشدة بأسهم، خاصة مع توفر السلاح بين يدي الجمهور. ومع أن المظاهرة ليست سابقة في تاريخ المنطقة الشرقية ولا تاريخ العوامية لكنها تعدّ مؤشراً للتوتر السائد بسبب انتهاكات حقوق المواطنين الذين تظاهروا لإيصال صوتهم الى العالم.

يذكر أن الشيخ نمر النمر هو أحد القيادات الدينية البارزة لدى الشيعة في محافظة القطيف وهو يحظى بمنزلة علمية، ويتسم موقفه بشيء من الصدامية مع السلطات السعودية. وقد دعا الشيخ النمر خلال العامين الماضيين الى تحرير الأماكن المقدسة من قبضة الوهابيين، وانتقد تسلطهم على الأماكن المقدسة والعبث بتراث المسلمين كافة، كما حاول إقامة مهرجان للإحتجاج على الممارسات الوهابية الأمر الذي أدّى الى اعتقاله في فترة سابقة. وقد درج الشيخ في خطبه في صلاة الجمعة على توجيه الانتقاد اللاذع للسلطات السياسية والأمنية.

تمهيداً لقيام الدولة السديرية

رمزيـة الـمـلك في الـميـزان

سباق المسافات القصيرة يوشك أن يستبدل بسباق آخر بعد أن أنهكت الطموحات الفارطة في مثاليتها للملك عبد الله مخزون المبادرات المرجوة للخروج بصورة مشرقة أمام شعب فقد البقية الأخيرة من ثقته في أن تنجب العائلة المالكة رجلاً يحفظ للرعية كرامتها وعزّها.

ومنذ بدأت معركة التجاذب بين الملك والثالوث السديري (سلطان ونايف وسلمان)، باتت التشوّهات تصيب الطرفين بفعل طبيعة الموضوعات الخلافية بينهما وانعكاساتها على الشارع، فالتسريبات المتواصلة من مصادر مقرّبة من العائلة المالكة حول معركة التجاذب تنبىء عن أن هناك نوايا مبيّتة لدى كل طرف من أجل تقليص نفوذه وإن تم استعمال أدوات غير نزيهة. مصادر مقربة من جناح الملك تشير الى أن الثالوث السديري قد قرر العبث بالمخيال الشعبي الذي ساهمت حاشية الملك في تصميمه كيما يكون مؤهلاً لصناعة الزعيم. تشير تلك المصادر الى أن المناكفات السديرية أخذت وتيرة تصعيدية في الشهور الماضية بعد أن شعر الثالوث بأن الملك يخطط لكبح التغوّل السديري في جسد الدولة، وتقريب جهات من خارج العائلة المالكة من أجل فتح الطريق أمام مشروع الاصلاح.

وبالرغم من استجابة الملك لبعض شروط الثالوث في موضوع التشريعات الاصلاحية، الا أن الجناح السديري بات يؤسس لوضع بالغ الخطورة من شأنه إحداث خلخلة في مكانة الملك عبد الله الذي يستنزف طاقته في الاحتفاظ بتلك المكانة.

قد لا تحمل التفاصيل دلالة معينة حين يتم قراءتها بالمفرق، ولكنها بالتأكيد تعني شيئاً كثيراً حين توضع في سياق عام وجمعي. على سبيل المثال، قد لا تعكس فشل صفقة طائرات رافال الفرنسية، رغم الاستعدادات الضخمة التي بذلها الجانب الفرنسي من أجل الفوز بها، خلافاً داخل العائلة المالكة، ولكن حين يعلن الامير سلطان عن صفقة عسكرية ضخمة مع بريطانيا أو حين تتحدث مصادر عن اتفاق بين الامير سلطان والاميركيين على عقد صفقة بديلة يصبح الأمر ذا دلالة هامة، تماماً كما أن غياب الامير سلطان عن حفل توديع الرئيس الفرنسي شيراك قد لا يكون مثيراً، ولكن أن تكون رحلة استجمام في المغرب مانعاً من الحضور يكون الأمر مريباً. جملة حوادث تترى في السياق نفسه، لا تتوقف عند فصل العواجي والوزير القصيبي ولا الحملة المنظّمة ضد وزير الاعلام إياد مدني، والتي كان لوزير الداخلية الأمير نايف يد مباشرة في مجرياتهما، بل هناك من يشير من طرف خفي الى دور خطير يلعبه الثالوث في المواقع التي يحاول أن يكون الملك عبد الله متميّزاً فيها. فبعد البشارة التي حملها قراره بدعم سوق الاسهم بعد أول نكسة أصابت هذه السوق في الشهر الفائت والتي على إثرها أعلن الامير الوليد بن طلال ضخ عشرة مليارات ريال في السوق، واصل مؤشر السوق في الهبوط محدثاً ما يشبه كارثة إجتماعية لحقت أضرارها بمكانة الملك عبد الله، مما حدا بالبعض للقول بأن ثمة مؤامرة تحاك ضد الملك من قبل الثالوث السديري الذي يدير لعبة في الخفاء في سوق الاسهم عبر لافتات وأسماء أخرى وهم المسؤولون عن إنهيار سوق الاسهم.

المناكفات السديرية أخذت وتيرة تصعيدية في الشهور الماضية منذ قرر الملك كبح التغوّل السديري في جسد الدولة

وفيما يحاول البعض تبرير ما يجري، يوجّه آخرون انتقاداتهم الى ضعف دور الملك الذي لم يأخذ من القرارات الحاسمة ما يكفي لوضع حد لمسيرة التدهور، وأن مبدأ (المكرمة الملكية) ليس من قوة التأثير بدرجة الكافية بما يحول دون انفجار السخط الشعبي. فتخفيض أسعار الوقود يغمره الانهيار الكارثي لسوق الاسهم التي التهمت نيرانها أموال قطاع كبير من المضاربين، بحيث بلغ حجم القروض المترتبة على ثلاثة ملايين مستثمر ما يربو عن ٢٠٠ مليار ريال حسب الاحصائيات المعلنة مؤخراً. فزيادة الرواتب بنسبة ١٥ بالمئة وتخفيض الوقود بنسبة ٣٠ بالمئة لم تكن كافية لتعويض ما يقرب من ٧٥ بالمئة من الخسارة الحاصلة في سوق الاسهم.

كل الذين تحدّثوا عن إمكانيات القوة الهائلة التي يتمتع بها الاقتصاد المحلي أشاعوا جواً إيجابياً في الداخل، ولكن بعضهم تردد في وضع اعتبار ما للقوة الخفية القادرة على تخريب معادلة السوق. يتحدث البعض الآخر عن أشباح مندسّين داخل السوق وهم وراء وقوع الانهيارات المتتالية عبر صفقات مشبوهة يعقدونها بالتوافق. ليس هناك من تجرأ وأفشى أسماء المتورّطين في السوق، ولكن الاتفاق منعقد على أن هناك من يحاول إحباط مفعول القرارات المالية والاقتصادية التي يصدرها الملك.



الملك عبد الله: بصول بيد جذاء

الخلاف بين الملك والثالوث السديري يترك آثاره دونما بصمات واضحة، ولكنه خلاف يتحرك في مواقع عدة، ويعكس نفسه في مجالات مختلفة. فالصورة المثالية للملك عبد الله تتعرض الآن لعملية تهشيم، تعيده الى المعسكر التقليدي للعائلة المالكة، وتبقي على العاديّة المتوارثة للحكام السعوديين، أي بمعنى آخر تقويض تلك (البطولية والريادية) التي سبقت وصوله الى العرش وحاول تعزيزها بعد تتويجه ملكاً على البلاد.

حادثة عرضية ولكنها لافتة.. ففي منتصف نهار الخامس من مايو وضعت وزارة الداخلية نقطة تفتيش بشرق الرياض تابع للمرور، وكان يعتقد بأن مهمة العاملين في هذه النقطة مراقبة تحركات الجماعات المسلّحة والعثور على أسلحة وذخائر كما هي العادة المتبّعة في الملاحقات الامنية لأفراد (الفئة الضالة)، ولكن الأمر لم يكن كذلك، يقول أحد الموقوفين (لقد أوقفني مركز التفتيش وطلبوا مني نزع صورة الملك ورفضت). وحين رفض الامتثال للطلب (أخذوا اثباتي وأوقفوني جانباً وغيري كثير وتجادلت معهم فقالوا لي هذه هي التعليمات) ويضيف قائلاً وبعد (أكثر من نصف ساعة وأنا أطلبهم ولا جدوى فقمت بنزعها - أي صورة الملك - بيدي وعفستها (كوّمتها) ورميتها أمامه.. وقلت له أنا نزعتها الآن والله لا ركبها (أعيد لصقها) بكرة، فقال إن وضعتها حنا (نحن) لك بالمرصاد وعطوني اثباتي).

في المقابل، نشر موقع الساحات، المقرّب من وزارة الداخلية، ما يشبه توصية لسكان القصيم بعدم نزع صور الامير سلطان قبل زيارته لمنطقة القصيم، والتي تمت في التاسع من مايو، وكأن هناك من يتوقع وقوع رد فعل معاكس من



الأمير سلطان: صانع المكر

الداعمين لجناح الملك عبد الله، أو المتشددين في موضوع الصور على قاعدة دينية، مما قد يخلط الأوراق بحيث يتم تجييره على أنه موقف سياسي لجماعة الملك عبد الله في القصيم.

الضربات المتبادلة بين الجناحين (الملك والعصبة السديرية) لا تتوقف، فما إن يوقع الملك ضربة هنا للثالوث السديري أو ما يعتبره هذا الثالوث كونه ضربة، حتى يقوم الاخير برد الضربة بأخرى موجعة. يتحدث بعض الذين يأملون في بقاء تلك الهالة المشعة حول الملك عبد الله عن مخطط يحاك في الخفاء من قبل فريق السديريين لتشويه سمعته وإعاقة القرارات الاقتصادية الايجابية التي يصدرها. ظهر ذلك المخطط، حسب هذا البعض، في القرار العاجل الذي اتخذه الملك قبل عدة اسابيع بعد أن وقع الانهيار الكبير في سوق الاسهم، وسمح قرار الملك بدخول الاجانب للسوق وتجزئة الاسهم، والذي أدى الى تحسّن طفيف في السوق، ولكن ما لبث أن تعرض الأخير الى فوضى عارمة أدّت الى إنهيار آخر في السوق، وعاد الملك ليعلن عن تخفيض أسعار الوقود بنسبة ثلاثين بالمئة، وكان القرار، من الناحية النظرية على الاقل، حافزاً قوياً على رفع منسوب المؤشر، ولكن ما لبث أن تعرض السوق الى ضربة عنيفة بانخفاض بلغ الف نقطة في اليوم التالي مباشرة، بل إن القرارات اللاحقة



الأمير نايف: اليد السديرية الضاربة

التي صدرت تباعاً بدءاً من إعلان الاكتتاب في مدينة الملك عبد الله الاقتصادية في ١٣ مايو والتفكير في إنشاء شركة خاصة تدير سوق الاسهم تحت شروط وضوابط أكثر صراحة للحفاظ على مستوى محدد لأسعار الاسهم صعوداً وهبوطاً.. كل تلك الاجراءات لم توقف مسيرة تدهور المؤشر الذي واصل انخفاضه الى ما دون العشرة الآلاف في العاشر من مايو بعد أن بلغ ما يقرب من ٢١ ألف نقطة قبل عدة أشهر.

لقد بدا وكأن القرارات الاقتصادية الايجابية تساقطت كأوراق يبسة في سوق الاسهم، ولم تعد قادرة على إنعاش أمل القطاع الأكبر من المضاربين الذين خسروا حصاد العمر في تلك السوق المجنونة.. وكأن هناك من يريد أن يفشي سراً الى هؤلاء المنتظرين لمعجزة اقتصادية في سوق الاسهم على يد الملك، بأن صاحبكم لم يعد لديه ما يمكن أن ينقذكم من عذاب أليم فالسوق باتت تصّب فوق رؤوسكم من حميم الخسائر المتتالية بما لا عاصم لكم من هذا السوق الا العصبة السديرية، الماسك الحقيقي بمفاصل الدولة وإمكانياتها.

في ظل هذا الوضع المتخلخل، تتبلور قناعة لدى كثيرين بأن الملك عبد الله لا يملك من أوراق هامة تمكنه من تغيير مسار الاوضاع

تهشيم الصورة المثالية للملك عبد الله باتت هدفاً للثالوث السديري لتقويض حكمه تمهيداً لقيام دولة يديرها السديريون وحدهم

الاقتصادية في الداخل بدرجة يعيد بها المؤشر الى سابق عهده الزاهي. ويوجّه آخرون نقداً للملك عبد الله كونه ليست لديه الشجاعة الكافية في فرض سلطته المطلقة على من يدرك أنهم يعبثون حتى بمصيره السياسي، ويهددون مابناه من سمعة وحلم عبر وعود معسولة وقرارات مفعمة بالأمل. وقد بلغ اليأس بأحدهم حتى قال (صدقوني لو أن الملك أعلن غداً أن الدولة ستعوض كل الخاسرين في سوق الاسهم فستجد السوق ينهار في اليوم التالي). إنطباعات مماثلة بدأت تتكاثر منذ أن بات الانهيار رفيقاً دائماً لمؤشر سوق الاسهم، وهو انهيار يهوي بمكانة من عقدوا الآمال عليه في إنقاذهم بعد أن عقدوا الآمال عليه في إثرائهم.

من الملفت في حملة الثالوث السديري، حسب البعض، أن المعركة بلغت من الانحطاط حداً وصل الى ضرب الملك في نقاط تميّزه. فقد كان أهم مائز بين الملك عبد الله وأخوته السديريين أنه أقلهم ثراءً وطمعاً في الثروة. فالملك عبد الله بخلاف الملوك السابقين والامراء السعوديين السابقين واللاحقين لم يتورط حسب الظاهر في عمليات سرقة ونهب لأراض وممتلكات الناس، ولم يصلنا خبر أحد شكى من الملك عبد الله في أراض قضمها منه، كما فعل الملك فهد والأمراء السديريون، وبخاصة سلطان وسلمان ونايف، الذين كانوا ينهبون ويجعلون ذلك فضلاً واحساناً أنهم تركوا ذلك النعيم لغيرهم من قبل، وما سرقوه من أصحابه الاصليين ليس سوى استعادة لحق منحوه لغيرهم ردحاً من الزمن.

وحيث أن لا مصادر محايدة قادرة على أن تمدّنا بمعلومات موثّقة عن الثروة المالية للملك عبد الله، كما لا نعلم على وجه اليقين حجم ثروة الامراء السديريين سوى ما يظهر بعض أجزائها في حسابات بنكية أجنبية، فإن الحسابات المالية لأمراء العائلة المالكة تخضع لسرية تامة وتكون أحياناً ضمن عناوين ولافتات وهمية أو غير مباشرة، وأن ما يعرف من ممتلكاتهم غير القصور والشركات ذات المشاريع العملاقة التي يديرها أناس يعملون لصالح هذا الأمير وذاك، قد لا تشكل سوى جزءاً من الثروات الضخمة التي تدرّ أرباحاً طائلة وتودع في حسابات بنكية خاصة.

نعود للقول بأن الملك عبد الله الذي لم يكن مدرجاً في أي وقت مضى ضمن قائمة الاثرياء في العالم، ظهر مؤخراً في مقدمة أغنى عشرة قادة في العالم، حيث كشف تصنيف مجلة فوربس الاميركية والمتخصصة بشؤون الاثرياء في العالم في ٥ مايو ٢٠٠٦ عن قائمة الأثرياء من الملوك والرؤوساء والقادة، ووضعت الملك عبد الله، ٨٢ عاماً، الذي اعتلى العرش في الاول من أغسطس ٢٠٠٥ في قائمة الاثرياء في العالم بثروة قدّرت بـ ٢١ مليار دولار، وهي الاعلى بالمقارنة مع ملوك ورؤساء آخرين مثل سلطان بروناي حسن البلقيه، ٥٩ عاماً، ورئيس الامارات العربية المتحدة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، ٥٨ عاماً، بثروة تقدر بـ ١٩ مليار دولار، وحاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ٥٦ عاماً، والذي جاء في المرتبة الرابعة بثروة تقدر بـ ١٤ مليار دولار.

لاشك أن هذا الكشف قد أصاب كثيرين بالدهشة والحيرة، وقد يتساءل البعض: كيف تمكن الملك عبد الله من جمع هذه الثروة؟ فيما لا شواهد على تورطه في صفقات ومشاريع مالية عالية الربحية، ولم يعرف عن وجود شركات تعمل لحسابه كما يفعل أقطاب العصبة السديرية. في المقابل، هناك من شكك في صحة ما نقلته مجلة فوربس معتنقاً الرأي القائل بأن المعلومات مدسوسة من أشخاص مغرضين يرومون تشويه سمعة الملك وإبراز المخبوء عن ممتلكاته بطريقة مفبركة من أجل زرع الانطباع بأن (ليس هناك أحد أحسن من أحد) فالكل في النهب سواء.

على أية حال، فإن التجاذب بين الملك والثالوث السديري فتح الابواب على احتمالات عدة، وقد تزيد من حدة الاستقطابات التي تفضي الى تشققات في بنية السلطة، وقد تنذر بفوضى سياسية في حال قرر السديريون الذهاب بالمعركة الى حد الاطاحة بهيبة الملك عبد الله تمهيداً لاقتناص السلطة وتحويلها الى دولة سديرية بالكامل.

العاصفة السلفية على إياد مدني

معركة المصير والهوية

لم تتوقف العاصفة السلفية التي باتت تهبُّ في إتجاهات عدة، في تعبير عن رد فعل على الاحساس بالخطر من زوال الواحدية الثقافية، بتداعياتها الاجتماعية والسياسية. ففي سياق المعركة التي قادها العواجي ضد وزير العمل الدكتور غازي القصيبي قبل شهرين، والذي تم تصويره كقطب برمكي يدير فريقاً من المسؤولين المتحلقين حول الملك عبد الله ويرسمون خارطة طريق الدولة بمعزل عن تأثيرات القوى التقليدية والجناح السديري الحاكم، نقول في سياق تلك المعركة، كانت فصول معركة أخرى تتواصل منذ نحو عام مع وزير الثقافة والاعلام إياد مدني الذي بات هدفاً مركزياً لحملة منظّمة يقودها التيار السلفي بكافة فروعه. ويعود جذر الخلاف مع الوزير مدني الى ما يمثله الاعلام كحقل متنازع عليه بين كافة القوى السياسية والاجتماعية، حيث يتمسك أقطاب التيار السلفي بحقه في إدارة مؤسسات التوجيه العامة، على قاعدة أن قضية التوجيه الثقافي يجب أن تخضع لقواعد دينية سلفية ولا يجوز مطلقاً السماح للمدارس الفكرية الاخرى الدينية والدنيوية على السواء حيازة موقع لها في هذا الحقل الاستراتيجي.

ولفترة طويلة نسبياً، كان التيار السلفي يقوم برصد ما يحسبها مخالفات شرعية في مجال السياسة الاعلامية التي يتبعها الوزير إياد مدني، في محاولة لنزع الثقة به واسقاط الأهلية عنه. ليس غريباً أن يضع بعض أقطاب التيار السلفي الخلاف مع إياد مدني في إطار مذهبي وعقدي، حيث نعت أحدهم الوزير بالصوفي المتعلمن، في إشارة الى كونه حجازياً وصوفياً أولاً، فالقولبة المذهبية تصبح مدخلاً ضرورياً بل معياراً أولياً في الفرز والتمييز بين من هم معنا ومن هم ضدنا، بحسب المنطق الايديولوجي المسكون بنزعة تنزيهية.

من هذا المنطق، اشتملت الاضبارة المسجّلة ضد الوزير مدني ووزارته على مخالفات تتراوح، بحسب البيان، بين تقليل الحضور السلفي في وسائل الاعلام، وإبراز حالة التنوع الفكري والاجتماعي، وفيما بينها مخالفات تفصيلية. وفيما كانت الحملة تتواصل ضد الوزير مدني على المواقع الحوارية السلفية على شبكة الانترنت وفي خطب المساجد والجوامع، أصدر في الثاني من مايو مائة وثلاثون من الشخصيات الدينية السلفية المعروفة بياناً تحت عنوان (بيان حول تجاوزات وزارة الثقافة والاعلام). وتتألف مجموعة الموقعين من مشايخ ورجال دين وأساتذة وقضاة يتسنمون مناصب بارزة في المؤسسة الدينية ووزارة العدل ونظام التعليم الديني (الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الامام محمد بن سعود، وجامعة أم القرى) وخطباء في المساجد الكبرى في المملكة (المسجد المكي، والمسجد النبوي) وقضاة بالمحاكم العامة في مناطق

البيان يفتح النار بصورة عشوائية على المجتمع بكافة فئاته مستعيداً نزعته الواحدية بما يجعله بياناً فئوياً واقتلاعيا

المملكة وأساتذة في كلية المعلمين، وأعضاء في هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهم. وقد نشرت شبكة نور الاسلام نص البيان في موقعها على شبكة الانترنت، حيث انطلق البيان في ديباجته من التأكيد على غاية الخلق التي يجب تحقيقها في كل أوجه الحياة، وهي الديباجة التقليدية التي تتبعها البيانات السلفية بما تسترعي وقفة تأملية كونها تلمح الى ما سيأتي بعدها من توجيه مقصود للحديث مورد الخلاف وبما ينطوي عليه أيضاً من إتهامات شبه مباشرة للطرف المقصود.

لقد أراد موقعو البيان أن يؤسسوا لدعواهم ضد الوزير اياد مدني من خلال التأكيد على ثابتين: الاول ديني وهو ضرورة تحكيم الشريعة، والثاني دنيوي ولكنه موصول بالاول وهو النظام الاساسي للحكم والذي تنص مادته السابعة من الباب الثاني على (أن الحكم في المملكة العربية السعودية يقوم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله..(وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة). إذن، فالموقّعون يتوسلون بمصدري قوة لا جدال فيهما بين طرفي القضية، وهو ما يحيل منهم حرّاس العقيدة وأمناء على الشريعة ونظامها، وبالتالي فهم ـ في الظاهر ـ لا يخرجون عن مبدأ المناصحة المطلوبة شرعاً، وإن كانت قائمة المخالفات المرصودة لا تقف عند إياد المدني بل تصل الى رأس السلطة بوصفه الراعي الرسمي للسلطة وسياساتها. وبحكم سلطته المطلقة، يكون امتداد الدعوى الى الملك أمراً طبيعياً.


وزير الاعلام اياد مدني

حشد الموقّعون الصغيرة قبل الكبيرة مما يعتبرونه أو يصنّفونه في خانة المخالفات الشرعية التي اقترفتها وزارة الثقافة والاعلام، وهي في المجمل بحسب البيان مخالفة للنهج الشرعي ولمواد النظام الاساسي للحكم. قائمة مخالفات الوزارة، بحسب الموقّعين، تبدأ (بتبنيها وإصرارها على نشر ما حرم الله ؛ من الفكر المنحرف، والمناوأة الظاهرة للدعوة والدعاة وحلقات تحفيظ كتاب الله، والسعي في نشر الفساد

بيان حول تجاوزات وزارة الثقافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الناس : عبادته وحده لا شريك له ، وقد أمرنا باتباع شريعته والاحتكام إليها في أمور حياتنا كلها ؛ السياسية والاجتماعية والإعلامية والتعليمية والتجارية وغيرها . قال الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) (النساء59) . وقال تعالى ((إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)) (يوسف40). وقال تعالى : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)) (الأحزاب 36).

وقد منّ الله تعالى على هذه البلاد بإعلان الحكم والتحاكم إلى الكتاب والسنة منذ نشأتها ، كما جاء في النظام الأساسي للحكم في المادة السابعة من الباب الثاني ونصها : " يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله .. وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة" اهـ.

وقد خالفت وزارة الثقافة والإعلام هذا النهج ، بسعيها وإصرارها على نشر ما حرم الله ، من الفكر المنحرف، والمحاربة الظاهرة للدعوة والدعاة وحلقات تحفيظ كتاب الله ، والسعي في نشر الفساد والصور الخليعة ، والمعازف والغناء ، والسماح بدخول الصحف والمجلات المنحرفة إلى المملكة ، والتي تتضمن موضوعات مفسدة للفكر ، ومثيرة للغرائز ، وتحمل على أغلفتها الصور الفاتنة . إضافةً إلى تقليص البرامج الدعوية في التلفاز وإذاعة القرآن الكريم . وكم يحزن المسلم أن يصل إعلامنا إلى هذا المستوى من الضعف والهوان .

ونرى أن مضي الوزارة في هذا المنكر ، وسكوت المسلمين عنه ، كلاهما من أسباب حلول العقوبات العامة بالجميع ، وأن إنكار المنكر والإقلاع عنه من أهم أسباب رضى الله تعالى ورفع العقوبات .

قال الله تعالى : ((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)) (غافر 21) .

وقال تعالى : ((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)) (الشورى 30) وقال تعالى: ((وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (الأنفال 25).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال : " إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه) أخرجه أحمد بإسناد صحيح .

والواجب على ولاة الأمر ـــ وفقهم الله ـــ منع هذا الفساد ، وإلزام الوزارة بشرع الله تعالى ، وما تضمنه نظام الحكم الأساسي ، وبنود سياسة الإعلام السعودي ، ومحاكمة المتسببين في هذا الانحراف من القائمين على الوزارة لدى القضاء الشرعي ، ووضع جهة شرعية عليا مستقلة في وزارة الإعلام ، ويتولى ترشيحها هيئة كبار العلماء .

وأن يرتقي إعلامنا ليكون على مستوى قضايا الأمة ، ولائقاً بمكانة بلادنا الإسلامية بانضباطه بالشرع عليه.

ونوصي الدعاة إلى الله بضرورة البناء الإعلامي الهادف بعيداً عن المحرمات والمشتبهات بما يحقق نشر الحق ودفع الباطل .

ونرى أن من أهم أسباب الإصلاح : السعي الحثيث في إبعاد بطانة السوء التي استفاض سوؤها ، وتلبس الحق بالباطل ، وتدفع البلاد إلى الهاوية ، وتحول بين ولاة الأمر والمصلحين والواجب استبدالها ببطانة أخرى من أهل الاستقامة والعدالة والكفاءة .

ونسأل الله تعالى أن يوفق ويسدد ولاة الأمر في بلادنا إلى ما يحب ويرضى ، وأن يحفظ علينا ديننا وأمننا ، وأن يقينا شر الفتن . والحمد لله رب العالمين .

الموقعون على البيان :

1. فضيلة الشيخ العلامة : عبدالله بن محمد الغنيمان .
2. معالي الشيخ الدكتور : عبدالله بن عبدالله الزايد . مدير الجامعة الإسلامية سابقاً .
3. فضيلة الشيخ : محمد بن ناصر السحيباني أستاذ العقيدة والفقه في المسجد النبوي ، وعميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية سابقاً .
4. فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالله بن حمود التويجري .
5. فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالرحمن الصالح المحمود . عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام .
6. فضيلة الشيخ : عبدالعزيز الصالح العقل . المدرس بالمسجد النبوي .
7. فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام .
8. فضيلة الشيخ الدكتور : سليمان بن حمد العودة . عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
9. فضيلة الشيخ الدكتور : علي بن سعيد الغامدي . أستاذ الفقه بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية بالمدينة .
10. فضيلة الشيخ : عبدالله بن ناصر السليمان . المفتش القضائي بوزارة العدل بالرياض .
11. فضيلة الشيخ : موسى بن علي النهاري . رئيس كتابة عدل الأولى بمكة .
12. فضيلة الشيخ الدكتور : إبراهيم بن عبدالله الحماد . عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام .
13. فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالله بن محمد العمرو . عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض .
14. فضيلة الشيخ الدكتور : إبراهيم بن عثمان الفارس . عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود .
15. فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالله بن صالح البراك . عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود .
16. فضيلة الشيخ الدكتور : خالد بن عبدالله الشمراني . رئيس قسم القضاء بجامعة أم القرى .
17. فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالله بن عبدالكريم العطايا . مدير مركز الدراسات الشرعية المسائية بجامعة

البيان السلفي

والرذيلة وبث الشبهات بين أبنائنا وبناتنا، وحمل لواء الدعوة إلى تغريب المجتمع : كالدعوة إلى التبرج والسفور، والاختلاط المحرم، وقيادة المرأة للسيارة، وإنشاء النوادي النسائية، وفتح دور السينما، وعروض الأزياء، ومسابقات ملكات الجمال، وإبراز المرأة المتبرجة والمخالطة للرجال في العمل على أنها مثال المرأة السعودية، وهكذا إذا كانت مغنية، أو مذيعة، أو نادلة في مقهى، أو مدربة سباحة، أو تقود الطائرة، أو فارسة تشارك في مسابقات الفروسية ..) ثم تتسع القائمة لتشمل (نشر الصور الخليعة، والمعازف والغناء، والسماح بدخول الصحف والمجلات المنحرفة إلى المملكة، والتي تتضمن موضوعات مفسدة للفكر، ومثيرة للغرائز، وتحمل على أغلفتها الصور الفاتنة. إضافةً إلى تقليص البرامج الدعوية في التلفاز وإذاعة القرآن الكريم).

وقد سهّل الاتباع على الموقّعين على البيان المهمة فأوردوا قائمة طويلة من الادلة على مخالفات وزارة الثقافة والاعلام ممثلة في شخص إياد مدني. فقد وثّق أحدهم تلك المخالفات بهدف إعانة المشايخ على (كتابة الخطابات الى ولاة الأمر). ومما ذكر من المخالفات: محاولة تمكين الروافض من خلال اللقاءات الاعلامية، إضعاف عقيدة الولاء والبراء عن طريق نشر أخبار الكفار الفجرة من الفانيين والفنانات وملكات جمال العالم، ولقد نشر خبر بجريدة الجزيرة الأربعاء ٢٤/ربيع الآخر ١٤٢٦هـ بعنوان (تتويج الكندية جليبويا ملكة جمال العالم)، نشر أخبار الشواذ من أمثال مايكل جاكسون كما نشرت صحفي الشرق الأوسط يوم الثلاثاء ٢٥/رجب ١٤٢٦ والعدد ٩٧٧٢ مع العلم أن أشرطة مايكل جاكسون لا تباع وممنوعة من السوق المحلي، الاستهزاء بالدين عن طريق برنامج طاش ما طاش، ضخ الأغنية العاطفية وعرضها بشكل مكثف سواء كانت الأغنية السعودية أو الخليجية أو العربية بعد اختفائها منذ زمن بعيد كما صرحت جريدة الرياض ليوم السبت ١٦/صفر ١٤٢٦العدد١٣٤٢، عرض فليم غربي سينمائي على القناة الأولى خطوة جرئية ولأول مرة تحصل منذ تأسيس وزارة الأعلام جريدة الرياض العدد ١٣٤٤١ لعام ٢٠٠٥ م، تنافس في إفساد نسائنا حتى أن القناة الإخبارية تنافس العنصر النسائي في الدراما السعودية حما صرحت بذلك جريدة الجزيرة ٢٧/صفر١٤٢٦العدد١١٨٧٨ الخبر بعنوان (الأخبارية تنافس العنصر النسائي في الدراما السعودية)، عرض صور عارية في قلم كرتوني أطفال عراه وكذلك يوم الأحد الموافق ٢٨/٨/١٤٢٦هـ، تعين بثينة

ردود الافعال في الوسط السلفي المتشدد على الإعلام تدور حول بوادر تنوع ثقافي ما يزال مرفوضاً سلفياً بالمطلق

النصر مستشارة اعلامية وعضو في تطوير القناة الثانية، وكذلك ريما الشامخ في القناة الأولى جريدة عكاظ الاحد ١٣/ رمضان ١٤٢٦هـ العدد١٤٢٩٥ وما زال توظيف النساء وتعيين الفتيات مستمرا كما صرحت بذلك جريدة عكاظ ليوم الثلاثاء ١٥/٩/١٤٢٦ العدد١٤٢٩٧ حيث تم اختيار الشابة مياسة أبو سعود في مجال الاعداد والتقديم، التركيز في صلاة التراويح على وجوه النساء الغافلات أثناء أداهن الصلاة في القسم النسائي وذلك يوم الختمة الموافق ٢٨/٩/١٤٢٦هـ، أضاعة الأموال في ما لا فائدة منه بصرف خمسة ملايين ريال لمسلسل طاش ما طاش كما صرحت بذلك جريدة الجزيرة يوم السبت ٦شعبان ١٤٢٦هـ، اختلاط المذيعين مع المذيعات وتسجيل البرامج والحلقات داخل المقر وعمل الندوات واللقاءات بين النساء والرجال في مكان واحد فتجد المذيعة مع ضيف الحلقة أو العكس، نشر الصور الخليعة وذلك واضح للعيان وفي الصحف المحلية، فسح رواية بنات الرياض، جريدة عكاظ تنشر الابراج الشركية تحت عنوان يومك بتاريخ ٢٠/٢/١٤٢٦هـ، برنامج السينما في أسبوع تخرج فيه فتيات ونساء بملابس فاضحة وشبه عارية، مسلسل أماكن في القلب عرض صور امرأة وبيدها الخمر، صدور مجلة نسائية سعودية جديدة اسمها (رؤى) مليئة بالصور الخليعة، عرض فتاة تلبس (مايوه) في القناة الاخبارية في برنامج وثائقي وتقول قصتها أنها تعرضت لسمك القرش. برنامج الرافضي محمد رضا نصر الله وضيوفه ملاحدة العالم العربي، وبعض رموز التيار الحداثي الذين عفا عليهم الزمن

هذا الرصد الدقيق لما ينشر في الصحافة ولبرامج التلفزيون والاذاعة، يرتبط بحوادث وقعت - بعضها على الاقل - خارج إطار صلاحية وسلطة وزارة الثقافة والاعلام، وإن مجرد إنعكاسها على وزارة الاعلام لا يعني كونها صادرة عن الوزارة، هذا أولاً. وثانيا إن مفهوم المخالفة لدى الموقّعين تخبر عنه نوعية المفردات المستعملة من قبيل (التغريب، التبرج، السفور، الفساد، الرذيلة، الانحراف، الخلاعة..)، فهنا يصبح الخلاف مؤسساً على قاعدة مفهومية، وقد درجت البيانات السلفية على إيصال الخلاف الى ذروته من خلال وضعه في عبارات صاعقة تحمل في باطنها قدراً هائلاً من التوجيه والتفجّر، وفي نهاية المطاف هي مفاهيم ذات محمول عدائي، تبطن أحكامها. بكلمات أخرى، هي مفاهيم مفصولة بمسافة بعيدة عن مصاديقها، وكأن أصحاب البيان قد قرروا إجهاض جهد القارىء في البحث عن أدلة لتأكيد أو نفي

لائحة الاتهامات المدرجة في البيان.

لا يكتفي الموقّعون على البيان بمجرد الانحياز عن خط الحيادية المطلوبة في رفع الدعوى، بل أفاضوا في إكالة إتهامات لجهات عديدة، في الداخل والخارج. فلم يكد تسلم فئة في المجتمع من قائمة الاتهامات المرصوفة في طول البيان وعرضه، فقد نال الموقعون من كل المخالفين لهم انتصاراً للعقيدة السلفية. وهو ما يفسر الحزن الذي أصابهم، والمستوى من الضعف والهوان الذي وصل اليه الاعلام، حسب وصفهم.

غضبة الموقعين قد تكون مفهومة، فيما لو اقتصرت على ما يعتبره أصحاب البيان مخالفات أخلاقية تمسُّ النظام القيمي للمجتمع، ولكن حين يفتح البيان النار بطريقة عشوائية على المجتمع بكافة فئاته مستعيداً نزعته الواحدية النافية لكل آخر يتطلع لأن ينال نصيبه من التعبير عن الرأي بدرجات متساوية، تصبح القضية ذات طابع فئوي وأيديولوجي ينبيء عن إصرار على العودة للوراء، في سبيل تشديد القبضة الاحتكارية على وسائل الثقافة والاعلام، وإن أفضى الى إغفال النتائج الخطيرة التي أدّت اليها تلك النزعة من أشكال سخط وقطيعة وتذمر في الداخل، كرد فعل على شعور الاغلبية بالحرمان لفترات طويلة من حقها في الافصاح عن متنبياتها الفكرية.

ندرك من خلال طبيعة ردود الافعال في الاوساط السلفية المتشددة، أن الموضوعات الخلافية التي اكتسبت أهمية خاصة بترددات واسعة كانت تدور حول بوادر تنوع ثقافي وفكري وإجتماعي بدأت تنعكس على وسائل الاعلام المحلية، وهو ما يزال مرفوضاً بالمطلق من قبل التيار السلفي الذي يرى بأنه وحده صاحب الحق في إدارة وتوجيه الاعلام والثقافة بما يخدم مشروعه الديني والاجتماعي وأخيراً السياسي.

ندرك أيضاً قوة الحشد التي يتمتع بها التيار السلفي في مهاجمة خصومه، تارة عبر التهديد والتخويف، وأخرى الفتاوى التكفيرية، وثالثة عبر المكالمات المزعجة، ورابعة عبر التشويه والتسقيط، وهو ما جرى لعدد من الكتاب والمثقفين مثل تركي الحمد ومنصور النقيدان وحسن بن فرحان الملكي وغيرهم. وبالرغم من أن الكفاءة التعبوية لا تعكس بالضرورة الحجم الحقيقي للتيار أو حتى لقوته الواقعية، فإن اللجوء الى مثل هذه الاساليب غير الاخلاقية يقتضي نمطاً صارماً من التعامل من أجل إبطال مفعولها حتى لا تصبح سلاحاً فتاكاً يخيف به هؤلاء خصومهم من ممارسة حقهم في التعبير.

في البيان إشارة الى واحدة من أساليب الحشد المتّبعة من قبل التيار السلفي، حين يتم تقسيم المجتمع الى مسلمين وضالين، وشرعي ولا شرعي، وحلال وحرام، وإيمان وكفر، بما يسلب الآخر غير السلفي حق الحياة فضلاً عن الحقوق الاخرى. ينص البيان (ونرى أن مضي الوزارة في هذا المنكر ، وسكوت المسلمين عنه ، كلاهما من أسباب حلول العقوبات العامة بالمجتمع ، وأن إنكار المنكر والإقلاع عنه من أهم أسباب رضى الله تعالى ورفع العقوبات). وليست العقوبات المشار اليها هنا مرتبطة بالضرورة بقرار من السماء، فقد يتولى من هم على الارض مهمة تنفيذها أحياناً بإسم السماء، كما يفعل المتجاهدون في العراق، وكما حصل في مصر بل وحصل في ديارنا بدليل النبذ والاقصاء والتهديد لطائفة من المختلفين.

في البيان أيضاً لفت واضح الى شعور بالخسارة لدى أصحاب البيان، يستعيد فيه صدى (مذكرة النصيحة) التي أعدّها رموز التيار السلفي في التسعينيات في دعوة مباشرة لاعادة تأسيس الدولة على قاعدة شرعية، أي أسلمة مؤسسات وأجهزة الدولة عبر تبديل تشريعاتها وطواقمها. في البيان، حيث يدور الحديث عن وزارة الاعلام، يدعو الموقعون وبلغة إملائية واضحة الى إحداث إنقلاب جذري في نظام الوزارة بما يؤول الى تسليمها بيد العلماء. ينص البيان (والواجب على ولاة الأمر ـ وفقهم الله ـ منع هذا الفساد، وإلزام الوزارة بشرع الله تعالى، وبما تضمنه نظام الحكم الأساسي، وبنود سياسة الإعلام السعودي ، ومحاكمة المتسببين في هذا الانحراف من القائمين على الوزارة لدى القضاء الشرعي ، ووضع لجنة شرعية عليا مستقلة في وزارة الإعلام ، ويتولى ترشيحها هيئة كبار العلماء).

يمكن القول، أن البيان يلخّص مطلبه في هذا المقطع، حيث تبدو القضية مرتبطة بحصة منتقصة للتيار السلفي في الجهاز الاعلامي. فالجرعات الدينية بلونها السلفي والتقليدي والباعثة على الضجر ليست كفيلة بإزالة الاحتقان والتذمر، ولابد بحسب فحوى هذا المقطع، من تبديل الدماء من الجسد الاعلامي بدم آخر، وربما بلون آخر. من المثير أن يتحدث الموقعون عن استعمال المسلمين (أعلى درجات التقنية الإعلامية الحديثة في الجذب والتأثير)، فيما يدرك القاصي والداني بأن من أهم أسباب فشل وسائل الاعلام المرئي والمسموع المحلية تعود الى غياب الجذب والتأثير بفعل هيمنة خطاب ثقافي واحدي ووجوه مكررة تفتقر الى ملكة الجذب والتأثير، والاهم من ذلك كله هو غياب التنوع العاكس لثقافات المجتمع واتجاهاته الفكرية والسياسية والادبية والفنية.

هي، بكلمة أخرى، دعوة لنزع سلطة وتثبيت أخرى، فالصبغة الدينية لا تغير من حقيقة أن الصراع هو على سلطة، وإن بدا، أي الصراع، في شكله المبدئي المثالي، إذ إن الحديث عن انحرافات ومفاسد لا تتطلب وجوداً كثيفاً للعنصر الديني السلفي فضلاً عن أن يكون هذا العنصر مسؤولاً عن توجيه السياسة الاعلامية والثقافية في البلاد. فالرشد الاخلاقي وحتى الديني يتعارض مع مطلب الوصاية الذي يتغلف عناوين مختلفة يراد منها تأكيد هيمنة الديني على غيره بدعوى أهليته الشرعية لوضع ضوابط أخلاقية على المجتمع، وقد لحظنا في تجارب كثير من الامم أن الفاسدين وذوي الميول المنحرفة قد يستغلون الدين بطريقة بشعة لتحقيق مآربهم الخاصة. إن مجرد الانتماء لجماعة دينية لا يمنح الاعضاء حصانة أمام الفساد والانحراف، سيما حين تنخرط الجماعة في الشؤون العامة وتحمل تطلعات دنيوية.

يلفت البيان أيضاً الى نقطة جديرة بالتأمل، ترجعنا الى تصاعد الحديث منذ شهور بين الدوائر السلفية والمقرّبة من أمراء الجناح السديري، حول تنامي قوة النخبة السياسية المحيطة بالملك عبد الله، والذي يمثل أياد مدني أحد أفرادها. فقد أشار البيان الى دور البطانة في التأثير على قرارات الملك، وهي قرارات تدفع صوب الهلاك، ولذلك جاءت مطالبة الموقعين متطابقة مع مطالبة العواجي في مقالته حول القصيبي. يطالب البيان جهة ما في الدولة وقد يعنى بها الملك نفسه بـ (السعي الحثيث في إبعاد بطانة السوء التي استفاض سوؤها، وتلبس الحق بالباطل، وتدفع البلاد إلى الهاوية، وتحول بين ولاة الأمر والمصلحين. والواجب استبدالها ببطانة أخرى من أهل الاستقامة والعدالة والكفاءة). هذه الاثنينية المتواترة في كل نقاط البيان بل وفي الخطاب السلفي عموماً، حيث يقام عالم منفلق الى أنا وآخر، تمظهر، أي هذه الاثنينية، كل أشكال المقارعة الفكرية والسياسية، والتي تقوم على عقلية فرقية (فريق على الحق وفريق على الباطل)، ويتمثل الاخير في البطانة المحيطة بالملك عبد الله والذين يشعر الامراء السديريون بأن أفراد هذه البطانة قد بلغوا مقاماً علوياً يضاهي قاماتهم، ولأن الموقعين والامراء لا يجرؤون على نقد الملك بصورة مباشرة فإنهم يطلقون سهامهم اليه ولكن في صدور من يعتبرونهم بطانته.

يا راجل فين الباقي؟*

جميل فارسي



أخي الدكتور حسن وأنا وصديقي الطبيب الماكر (صاحب اقتراح سداد الدين العام في خطة من أربع كلمات!) سافرنا في أوائل السبعينيات الميلادية للدراسة في جامعة القاهرة، فكنا نذهب يوم الخميس للسينما.

والسينما هناك أمرها غريب، حيث يمرّ بائع الكوكا كولا وسط اظلام السينما لخدمة الرواد.

كان سعر الزجاجة خمسة قروش، وكنا حين ندفع له الجنيه يستغلّ ظلام السينما ليختفي وسط ذلك الظلام فيصبح السؤال الملحّ طوال الفيلم: (فين الباقي).

فالظلام دائماً يخلق سؤال: (فين الباقي)؟

تذكرت عبارة (فين الباقي) عندما قرأت رد سعادة وكيل وزارة المالية الأستاذ محمد البازعي على الأستاذ تركي الثنيان (الوطن عدد ٢٠٢٠) مبيّناً (إن الوزارة تبحث فرض ضريبة القيمة المضافة على السلع المباعة تماشياً مع دول الخليج لتمويل الخزينة بقصد تعويض النقص في الإيرادات الجمركية نتيجة الإنضمام لمناطق تجارة حرّة)!

بإمكاني أن أُقدّم له عدّة مقترحات لتخفيض بعض مصروفات الخزينة والتي تبلغ الواحدة منها أضعاف المحصل من الرسوم الجمركية.

ولكن دعنا من بند (مصروفات الخزينة، ولنركز على (إيراداتها) حيث أعتقد أن إيراد البترول وحده أكثر من كاف لتمويل الخزينة سواء حُصّلت أيّ رسوم جمركيّة أم لم تُحصّل.

ولإثبات ذلك لنأخذ مسطرة وقلماً وآلة حاسبة وفرجار ومنقلة ولنحسب:

٣٦٥ يوماً في السنة مضروبة في متوسط عدد البراميل المنتجة مضروبة في متوسط سعر البرميل، ثم حاصل الضرب هذا، لنطرح منه الرقم المذكور في الميزانية كإيرادات الخزينة!!

والآن: (فين الباقي)؟

لهذا تذكرت ظلام السينما المذكورة في أول المقال.

فعلاً.. فالظلام يخلق السؤال: (فين الباقي)؟

حسب إجابة الآلة الحاسبة، فإن الباقي يكفي للصرف على مشاريع تمتص البطالة، وتفعّل صندون معالجة الفقر، وتخفض الدين العام!

ولكن دعنا أولا (نجد الباقي) نفسه قبل أن نبحث في (أوجه صرفه)!

العجيب في الأمر أن ولي الأمر شكّل مجلساً للشورى من خيرة رجال البلد، وفي كل دورة يزيد لهم من الصلاحيات، حتى اصبح بإمكان أي عشرة منهم مناقشة أي موضوع كان، ولم يقيّد حريتهم بأيّ قيد إلا ضمائرهم وثوابت الشريعة!

ومع ذلك لم يخطر في بال أي عشرة منهم مجرد سؤال: (فين الباقي)؟!

ثم على افتراض أني ضعيف في جدول الضرب (رغم حصولي على ترخيص محاسب قانوني) أو أن إجابة سؤال: (فين الباقي) مبهمة، فسيظهر سؤال آخر هو:

هل من العدال أن تمول الخزينة من تلك الضريبة؟

البنوك وحدها تربح خمسة عشر الف مليون ريال في السنة، لا نأخذ على هذه الأرباح الفاحشة أي ضريبة، ثم نأخذ ضريبة من الأب إذا اشترى لإبنه شنطة المدرسة؟

لا نأخذ ضريبة دخل على الشركات، ونأخذ من الزوج إذ أحضر ربطة الخبز للغذاء؟

لا نشاهد من يخطط أرض لبيعها بمئات الملايين، رغم أنها لم تكلفه اصلاً أي ريال، ونترصّد للموظف إذا اشترى غترة؟

الذي يحالفه الحظ في سوق الأسهم ليربح ألف مليون ريال، وسط آهات ودموع وحسرات مراقبي المؤشر الأحمر، ننساه، ونتذكر فقط الأرملة إذا اشترت مكينة خياطة لتعمل عليها بدلاً من ذلّ السؤال، لنقول لها: أين ضريبة القيمة المضافة؟

يا راجل فين الباقي؟

أخيراً أقول:

إن من يدفع تلك الضريبة، يحقّ له أن يسال أين صرفت؟

أليس كذلك؟

أنا شخصياً سأسأل، فهل الإجابة جاهزة أم ستلحق بإجابة (فين الباقي)؟!

---

* (مقالة قدمت للنشر في ٢٠٠٦/٤/٢٤ ورفضت، فانتشرت عبر الإنترنت)

رأي

ملاحظات حول مقالة الدكتورة مضاوي الرشيد

الهويّة الحجازية والقواسم المشتركة

المقالة التي نشرتها الدكتورة مضاوي الرشيد في القدس العربي (والتي ننشرها في هذا العدد) حول الحجاز وحركة إحياء تراثه الديني، سببت لدى البعضِ ألماً لما تضمنته من قراءة مغلوطة في بعض مفاصل المقالة، ولكنها وجدت ارتياحاً أيضاً كونها محاولة نقدية لوضع متأزم ولحلول ترى أنها ناقصة أو هي بالشكل الذي عليه غير واضحة المعالم أو تعطي انطباعاً سلبياً.

وإذ لا تخفى النقاط الإيجابية في المقالة، كونها تنتقد الهيمنة الثقافية والمذهبية الواحدية (الوهابية) وفرضها على المواطنين السعوديين، بل وعلى جميع المسلمين، وكون المقالة دعت الى حل (سياسي) قائم على نوع من اللامركزية في إدارة المناطق وتوزيع الثروة بالعدل، وعلى التعددية والإنتخابات وغير ذلك.. فإن المقالة نفسها تحتوي على جوانب غير واضحة، أو مقاربات قد تكون في غير محلها.

هذه المقالة ليست رداً على الدكتورة مضاوي، وإنّما محاولة التفكير بصوت أعلى، وتوضيح بعض الجوانب التي قد تكون فاتت الباحثة، وقد تكون في جانب آخر مقاربة مختلفة لذات الموضوع التي ناقشته الباحثة والتي أكدت على الأبعاد التاريخية والسياسية للموضوع.

أول ما يلفت النظر هو العنوان الذي قدمته الدكتورة مضاوي لموضوعها الشائك: (حملة لإحياء القبور أم هدم للقصور؟) فهو عنوان اعتمد على تقديم صورتين متقابلتين رمزيتين قويتين: القبور الدارسة مقابل القصور الشامخة، والإحياء مقابل الهدم، والدين أو التراث الذي يمثله القبر مقابل السياسة التي يرمز اليها القصر، والحجاز (الطرفي) المتعلّق بتراثه وتاريخه وهويته مقابل المركز السياسي (نجد أو الرياض) المهيمن سياسياً ودينياً واقتصادياً وعسكرياً. لا شك أن العنوان مثير حقاً لما فيه ايضاً من سجع، رغم أن مقالة الدكتورة مضاوي لم تطرق هذه الأبعاد كلها في مقالتها إلا بصورة عرضية، في حين أنها تختزن المشكلة الأكبر. فضلاً عن هذا، فإن العنوان يتضمن تجاوزاً يمكن التساهل معه، وهو مسألة (إحياء القبور) إذ لا يخفى أن جوهر الخلاف بين أهل الحجاز والمركز النجدي لا يدور حول هذه القضية بالتحديد، وإنما حول موضوع التراث بمجمله.. والوهابيون انتهوا من هذه القضية منذ زمن طويل، فقد دمروا كل القبب التي في مقبرة المعلا بمكة المكرمة (كتلك التي كانت على قبر السيدة خديجة) والبقيع في المدينة المنورة (كما حدث لقبور الصحابة والتابعين) وذلك منذ أول يوم احتلوا فيه الحجاز. الإثارة الجديدة التي قدمها الوهابيون تتعلق بتجاوزهم حدّ المألوف والمعتقد الوهابي نفسه، والذي يجيز لنفسه نبش قبور الصحابة والتابعين (مقبرة ومسجد السيد علي العريضي)، وتدمير المساجد الأثرية (بعض المساجد السبعة، ومسجد الكاتبية وغيرها) بل والإعلان عن عزمهم تدمير القبة الخضراء التي على قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ومواقع تاريخية أخرى كغار حراء، وموقع بدر وأمثالها.

هذا ما يدور الحديث والنقاش بشأنه وليس القبور. إذ لا توجد حركة أو حملة (لإحياء القبور) بالمعنى الذي ذهبت اليه الدكتورة مضاوي.. وإن كان عامّة المسلمين يرون في فعل الوهابيين عملاً طائشاً متهوراً، لا يعدو فرض اجتهاد أدّى الى الإعتداء على تراث المسلمين عامّة وطعنهم في مشاعرهم وعواطفهم وفي معتقداتهم الدينية التي تخالف الوهابيين. وهذا هو البعد السياسي الخارجي لمسألة تدمير تراث المسلمين في الحجاز.

التراث والهوية الحجازية

لم تخطئ الدكتورة مضاوي الرشيد في التركيز على الأبعاد السياسية لما أسمته بالحملة لإحياء الآثار الإسلامية في الحجاز والحفاظ عليها والتشنيع بمن يريد أن يأتي على ما تبقى منها بالهدم والتدمير. ولم تخطئ حين قالت بأن محاولة الإحياء له علاقة بتثبيت وبلورة هوية ثقافية لدى سكان الحجاز، وإن وصفتها بأنها (هوية مزعومة)، تعتمد على المشتركات اللغوية والممارسات الطقسية الإجتماعية والدينية المغايرة لما لدى المركز النجدي.

هناك صنفان من المهتمين بالتراث في الحجاز: صنف مهتم بالتراث الإسلامي كونه تراثاً إسلامياً عاماً وحجازياً متعلقاً بالهوية الحجازية.. ولا يفكر في (تسييس) الهوية الثقافية الحجازية، وإنما ينزع للمحافظة عليها في ظرف تتأكد فيه سطوة المركز وهويته المناطقية والطائفية كما هو معروف بالضرورة. فكل الأمم والجماعات تحاول الحفاظ على هويتها وتدافع عنها، ومثل هذا الصنف موجود بين النخب الحجازية، دون ذكر الأسماء.

وهناك صنف آخر من المهتمين يدرك الأبعاد السياسية للهوية، ويرى بأن الهوية الحجازية لصيقة بالموضوع السياسي المحلي، وهو وإن اهتم بالتراث الاسلامي في الحجاز فإنه يدرك (الخصوصية الحجازية) في إطاره. فمن عاش فترة كافية في ربوع مكة والمدينة يصيبه القلق على ذاكرته التاريخية وهويته المهددة وهو يرى تدمير المواقع الإسلامية واحداً تلو الآخر وكأن معاول الهدم الوهابية تهدم في داخله أجمل ذكرياته وموروثاته الدينية والسياسية والتاريخية.

وهل يمكن أن تكون هناك هوية بدون أبعاد سياسية؟

ان الهوية في الحجاز شأنها شأن الهويات الأخرى هي أحد أهم العناصر الفاعلة في عالم السياسة. كانت هكذا في الماضي، وهي كذلك في الحاضر وستبقى في المستقبل. بحيث لا يمكن الحديث عن

الهوية بدون ابعادها السياسية. والهوية الحجازية ـ أو حملة الإحياء كما تسميها الدكتورة مضاوي ـ إنما جاءت كرد فعل على عمل سياسي قام به المركز النجدي وأدواته الوهابية، الأمر الذي يطبع أي عمل من هذا النوع بطابع السياسة.

هذا لا يعيب الحجازيين، أن يقوموا باحياء هويتهم الخاصة عبر مقاومة أفعال الوهابيين المغطاة بدوافع سياسية هي الأخرى.

ثم إن أعمال الهدم والتدمير التي تواطأ المسؤول السياسي والديني النجدي على امضائها، هي من صميم الفعل السياسي، المحلي والخارجي، كونه يثير الآخرين من المسلمين، ويرتب مواقف سياسية تشكك وتدعو لاستقلال الحجاز او وضعه تحت إشراف المسلمين عامة. كون تلك الآثار ليست خاصة بالوهابية وهم أقلية في المملكة فضلاً عن العالم الإسلامي. ويكتسب التدمير فعلاً سياسياً أكثر خطورة على الصعيد المحلي، كونه يتعرّض لتدمير وإضعاف هوية السكان المحليين (في الحجاز) وهذا الهدف غاب عن الدكتورة مضاوي. فما يُظن أنه فعل (ديني) محض يقوم به وهابي متطرّف يزعم أنه يريد إعادة المواطنين الى حظيرة (التوحيد) بعيداً عن (الشرك)، هو في واقع الأمر يعني للسياسي النجدي (العائلة المالكة بالخصوص) إضعاف هويّة الخصم، وتدميرها.. وبالتالي إضعافه في معادلة السياسة المحلية وتهميشه وإبقاء السيادة النجدية التعصبية في كافة حقولها المحتكرة لكل مواقع الدولة.

ويحمل تدمير الأماكن التراثية والمقدسة في الحجاز من قبل الوهابيين انتصاراً وتقوية للهوية النجدية أيضاً. وهذا عنصر آخر غاب عن الدكتورة مضاوي، فتدمير هوية الآخر بحجج دينية، لا يستهدف (تقوية هوية مقابلة وطنية) بل تقوية الهوية (النجدية السعودية الوهابية). وهذا يجعل العمل في صلب السياسة لا الدين، حتى بشروطه الوهابية المتشددة. ولا نعتقد بأن الوهابية تمتلك نصوصاً تسعفها في شمول التدمير للمساجد الأثرية ومواقع تاريخية حيّة في التاريخ الإسلامي. ندرك أن المسألة لا تتعلق بالقبور، وقد سووها بالأرض، اللهم إلا قبر النبي نفسه الذي يعلنون بصراحة وعلى الملأ بأن ما يقعدهم عن تدميره هو رغبة السياسي (آل سعود) بعدم إثارة العالم الاسلامي. اذن هناك مسألة سياسية تتخفى وراء كل ما نريده.

نعلم ـ زيادة على ذلك ـ أن مقاييس الوهابيين في الحجاز تختلف عن نجد. فالنص الديني لديهم والذي يتوسعون في تطبيقاته وشمول كل ما يرونه من (مظاهر الوثنية! او فتنة الوقوع فيها!) في منطقة الحجاز، وفي بعض مناطق المملكة الجنوبية والشرقية، لا يجري العمل به في المنطقة الوسطى، حيث تحيى مواقع امرئ القيس، وتخلد بقايا أدوات استخدمها عبد العزيز وأقام لها النجديون المتاحف! وغير ذلك من الأمور المعروفة. فالدين بدمغته الوهابية يستخدم ضد الآخر، لهدف سياسي واضح يدركه الزعيم الديني الوهابي كما الزعيم السياسي السعودي: تقوية هوية الذات وإضعاف هوية الخصم. أي تقوية الهوية الخاصة مقابل الهويات الأخرى.

وما يهمنا هنا، هو ملاحظة أن الهوية الوهابية والنجدية بشكل عام، إنما قامت على التميّز عن الآخر ونفيه والقضاء المادي عليه، وطمس فكره ورموزه وحججه، ومحاربة التراث الإسلامي في الحجاز هو جزء من ذلك العمل. حين يقول الوهابيون أنهم لا يؤمنون بالقبور ولا بالتراث ولا بالآثار الإسلامية ويسعون الى هدمها، فإن الأمر لا يعود فقط الى (اجتهاد ديني) بل هو من صميم توسعة (الهوية الخاصة) والإنتصار لها. فما يميّز الوهابيين عن غيرهم، أن الآخرين يحترمون ذلك التراث ويقدرون قيمته كما في كل العالم، ونقصد بذلك التراث الإنساني بمختلف أنواعه، في حين أن الوهابيين يبحثون عن التميّز في هذا الشأن كدالّة على الهوية النجدية الخاصة، وإن تمّ تأطيرها للتضليل بعنوان ديني قابل للنقض والجدل. وبالتالي فإن الإنتصار للهوية هو شأن النجدي الذي يدمر تراث الآخر، كما هو شأن الحجازي الذي لا يعتدي ـ بقوة وجبروت الدولة المسعودة ـ على حريم غيره، بل يرفع من شأن ويحافظ على ما لدى (أرضه) من تراث.

وبهذا نلاحظ، أن الهوية النجدية الوهابية المسعودة، هي هويّة متغوّلة عدوانيّة، لا تكتفي بالمحافظة على ما لديها من تراث خاص بها، ولا تكتفي بعدم تطبيق نصوصها الدينية على ما لديها من مخالفات تزعمها، ولكنها تعتدي على هويّات المسلمين وعلى تراثهم، كما تعتدي على هوية أهل الحجاز المعنيين أكثر بذلك التراث الحضاري العريق. والهدف تسويد الهوية النجدية على ما عداها.

ومن هنا كان من المنطقي جداً أن تسمع الدكتورة الأوصاف والنعوت السلبية بحق الوهابية وآل سعود (وعليها أن تتعود أكثر على ذلك) لأن ما يجري ليس مجرد تدمير قبر او أثر أو موقع تاريخي مضت عليه مئات وربما آلاف السنين، بل هو تدمير لهوية الآخر، بغية إخضاعه وترويضه وتحقيق نصر مذهبي مناطقي عليه، وبغية الإحتفاظ بالسلطة محتكرة بيد الفئوية والطائفية والمناطقية النجدية.

شعار: الوطن أولاً، أم صراع هويّات؟

صحيح جداً ما ذكرته الدكتورة مضاوي الرشيد من أن أي تحليل لمجمل عملية الدفاع والإحياء لتراث الحجاز لا ينظر الى الأبعاد السياسية المحلية الحالية هو تحليل قاصر. وصحيح ما جزمت به من أن (معركة إحياء التراث الاسلامي هي معركة سياسية بالدرجة الاولى، وما تاريخ القبور وتراثها إلا محاولة لدفن القصور في منطقة هي بالدرجة الاولى إرث لكل المسلمين وليس فقط لمن سكن واستوطن الحجاز ومن هيمن عليه سياسياً، رغم ان تدابير أمور المنطقة الدينية والحياتية لا بد ان يكون لسكانها المحليين أولا وأخيرا بسبب ارتباطهم تاريخيا ومكانيا بهذا الإرث العالمي).

المقاربة التي أرادت الدكتورة اتباعها جاءت من خلال (العلاقة بين المركز والأطراف).. والطرف هنا هو الحجاز، رغم أنه من الناحية النظرية المركز الديني المسيطر عليه وهابيّاً نجدياً، اما المركز فهو الرياض، أي نجد، أي الوهابية والعائلة المالكة والنخبة النجدية المسيطرة على جهاز الدولة.

هنا تضع د. مضاوي الرشيد هويتان متقابلتان، إحداها ترفعها الأنظمة (الوطن أولاً) أي (الهوية الوطنية) والأخرى ترفعها الشعوب (هويات فرعية: مناطقية وطائفية وغيرها). وفي حين أنها لم تصم الأولى بأنها (مزعومة) وصفت الهويات الأخرى بأنها (ضيقة)، وهي فعلاً كذلك، فالهوية الفرعية تكون دائماً أكثر ضيقاً من الهوية الوطنية.. ووصلت الباحثة الى حقيقة جديرة بالتأمل وهي أن حركة إحياء التراث الإسلامي في الحجاز هي محاولة لصياغة هوية جديدة ـ قديمة للحجازيين، وهذا صحيح. ود. مضاوي تنفي أن يكون الهدف (تدوين وأرشفة) الفعل الوهابي من أجل الحفاظ على ما تبقى من الآثار وإن قام النشطاء في هذا المجال بإعلان هذا الهدف؛ فهي ليست مقتنعة ـ على الأقل بالنسبة لبعض المهتمين بالتراث الحجازي ـ بأنهم يقصدون حفظ الآثار والدفاع عنه لا أكثر.. فالهدف الذي وضعته د. مضاوي، وهو هدف صحيح ونهائي هو الإنفصالية، ولكن هذا لا يمنع نقض كلام الباحثة بأن هناك من بين المهتمين من لا يبحث عن تسييس للموضوع ولا يريد من ورائه غايات أكبر، كفصل الحجاز عن دولة نجد السعودية، وهو ما يبدو أن الباحثة مقتنعة بأنه هو (الجائزة الكبرى). نفهم هذا من تساؤلها: (هل يا ترى أن حركة إحياء التراث هي محاولة استباقية تمهد لمشروع تجزئة السعودية وإقامة دولة الحجاز مثلا؟ هل هذه الحركة تستند على أجندة

إنفصالية قد تتبلور في المستقبل؟ أم هل هي يا ترى محاولة لإخراج الأماكن المقدسة من الهيمنة السعودية ووضعها تحت هيمنة اسلامية تشترك فيها الدول الاسلامية؟ هل يمكن اعتبار هذه محاولات لتقويض سلطة القصور السعودية عن طريق إحياء تراث الآثار؟).

لم تبحث د. الرشيد علاقة الهوية الفرعية ـ الحجازية هنا ـ بالهوية الوطنية، ولم توصّف الهويّة القائمة والسائدة، حتى يمكن ملاحظة ما إذا كنا ازاء صراع هوية فرعية مقابل وطنية، أم هي بين هويتين فرعيتين (نجدية وحجازية) أم هي انشقاق هوية فرعية عن هوية وطنية (سعودية)، وهكذا!؟ أن توصف الفعل ـ بل رد الفعل الحجازي ـ بأنه محاولة احياء هوية فرعية، تريد الإنفصال في محطتها النهائية قد يكون صحيحاً، ولكن المهم هو معرفة الهوية المقابلة او السائدة، وهوية الجماعة المسيطرة، حتى يكتمل التوصيف. فأن تنفصل عن جهة تمارس الفعل (الإنفصالي)، يختلف عن ان تنفصل عن جهة (وحدوية) أليس كذلك؟

لقد قلنا في اعداد كثيرة من هذه المجلة، وأوضحنا ما هو معلوم بالضرورة، بأن الهوية القائمة في المملكة اليوم والتي تسمى بالهوية السعودية، إنما هي في جوهرها هوية نجدية مناطقية مذهبية فاقعة، وهي هوية أقليّة (لا يزيد عدد سكان نجد عن ربع سكان المملكة) سادت بالحراب والفرض وليس بالإجماع، وهي هوية الفئة المسيطرة على كل مؤسسات الدولة بمختلف أبعادها، وبالتالي حتى لو رفع أدعياء الوحدة من هذه الفئة شعارها، بزعم محاربة الإنفصالية، فإن فعلهم لا يتسق مع ممارستهم. وهم على أية حال ليسوا رواداً في الدفاع عن الوطنية، ولا الهوية الوطنية، خاصة الوهابيين الذي ينعتون الهوية الوطنية بأنها (وثنية). اما النخبة النجدية فيهمها استمرار السيطرة على مفاصل الدولة، وتلعب الوهابية وسلطة المركز ورموز الحكم الدور الأكبر في إخضاع الأكثرية لمشروع ومصالح وهوية تلك الأقلية. ولا نظن من ينكر هذا إلا مكابر، أو جاهل لا يعلم ماذا يجري على الأرض.

اذا اقتنعنا بهذا، لا نكون بإزاء انشقاق مقابل وحدة، ولا بإزاء وطنية مقابل انفصالية، ولا هوية سعودية مقابل هوية حجازية، ولا مشاعر وحدوية جامعة للسكان مقابل مشاعر انفصالية تؤمن بها أقلية حجازية.

نحن هنا بالتحديد ـ حسب التوصيف المنطقي ـ بإزاء صراع بين هويتين، لا علاقة لهما بوحدة البلاد بالضرورة، وهي وحدة إكراهية قامت على السيف والعنف وأنهار من الدم كما هو معروف في التاريخ ولم تتغلغل بعد في كيان السكان. هناك جماعة أقلية تريد استمرار فرض ارادتها على الآخرين بدون مبرر ديني او سياسي او منطقي او شرعي أو حتى أخلاقي، وهناك في المقابل جماعة أخرى، أكبر من الأولى حجماً، فقدت استقلالها ودولتها عبر المذابح الوهابية السعودية ودعم البريطانيين لآل سعود، وهي جماعة مهددة في هويتها ومعاشها وخصوصياتها. أما الإطار الذي يجري فيه الصراع، فهو مفتوح، نظراً لغياب الهوية الوطنية والمشروع الوطني.

ضمن هذا السياق، يصبح الإنفصال مشروعاً ضد وحدة إسمية واحتكار سلطوي نجدي يتعمد الإخضاع ويرفض الإصلاح السياسي والمساواة، لأن الإصلاح سيؤدي حتماً الى تقويض أبوية المركز النجدي، وهيمنة الوهابية. وهذا مستحيل أن يقبله النجديون (النخب منهم عامة) في الأمد المنظور، سواء كانوا في السلطة الدينية او السياسية. ويمكن للدكتورة مضاوي أن تبحث عن حقيقة أن أكبر معارضي الإصلاح السياسي ليس فقط العائلة المالكة (النجدية) بل كل الطيف النجدي السياسي (انظر مثلاً دراسة متروك الفالح، وإن لم تضع النقاط على الحروف تماماً).

لكن الباحثة توصلت الى النتيجة المؤلمة، وهي نتيجة صحيحة حين قالت: (نستطيع أن نجزم ان حركة إحياء التراث الاسلامي في الحجاز، هي نافذة نطل منها على مستقبل السعودية وليس ماضيها... نعتقد ان هذا المستقبل اما سيكون خطيرا للغاية وذي عواقب وخيمة على الجميع، او سيكون فرصة تاريخية لإعادة صياغة وحدة الجزيرة العربية على أسس ثابتة لا مجال فيها لهيمنة مركز واحد وتهميش للأطراف، والتي قد يكون بعدها الديني أهم بكثير من المركز السياسي الوقتي).

أين الأطراف؟

العلاقة بين المركز والأطراف، التي أشارت اليها الدكتور مضاوي، لم تأتِ عليها في النقاش أصلاً. وكان يفترض أن توصف طبيعة العلاقة بين الطرفين (المركز النجدي والطرف الحجازي) لكي نعرف سرّ نزعة الحجازيين الإحيائية للتراث الإسلامي المهدور في الأماكن المقدسة، ولكي يدرك القارئ بعدئذ جملة العوامل التي تغذي الهوية الفرعية الحجازية وتمنحها الزخم ومن ثم الإنطلاق في آفاق إعادة دولة الحجاز المستلبة منذ عشرينيات القرن الماضي.

ان توصيف العلاقة يقتضي ادانة المركز ويقتضي في الآن ذاته تبرير رد فعل الضحية او الضحايا. وإدانة المركز تتم وفق سياساته المتعددة في ادارة الدولة، والتي اعتمدت احتكار السلطة وسياسة الهيمنة والبطش بمن يعتقد أنهم (أطراف الدولة) رغم أنهم يعيشون عمقها الديني (الحجاز) وعمقها الإقتصادي (الشرقية) وعمقها الديمغرافي (الجنوب). ولو بذلت الباحثة بعض الجهد في هذا المجال لاكتشفت أن تدمير هوية الآخر (غير النجدي وغير الوهابي) والتي يعتقد أنها سلاح بيد السلطة المركزية النجدية لتسويد هويته، ومنع الأطراف من مكافحة المركز عبر تغذية المشاعر الإنفصالية، إنما هي سياسة خاطئة (وآل سعود حتى الآن لم يدركوا بجهلهم هذا) تؤدي الى عكس ما يريده الوهابيون، أي أن هذه الممارسات ـ وبينها تدمير الآثار الإسلامية في الحجاز ـ قد تحقق نصراً مذهبياً، ولكنها تضغط على الوتر الحساس الكامن في عمق الشخصية الحجازية خاصة (والمسلمة بشكل عام) وتستثيره الى أبعد حدود، وبالتالي تتضخم لديه الهوية الخاصة وتتمدد بسرعة في غياب الهوية الوطنية. اما أن النظام قد أعلن حربه الصريحة على الهوية الحجازية، ومعه فلول الوهابيين، واعتماد الحرب العلنية عبر الكتب أو عبر إعلام الدولة، من أجل إدانة (دعاة الهوية الحجازية) بشكل صريح، والتنقيص من شأنهم بالقول أنهم من دعاة الإنفصالية مقابل الوهابيين دعاة الوحدة والتوحيد! إن هذا كلّه لا يعتبر نذير شؤم بحق الحجازيين، بل هو نذير شؤم للدولة النجدية الفاشلة في صناعة هوية وطنية قائمة على المساواة والحرية والعدالة. وحتى تجنيد السلطة ودعاتها الوهابيين (عبدة آل سعود) لمكافحة من أسمتهم بالقبوريين الحجازيين والشيعة وغيرهم، في معركة تبدو غير متكافئة، فإن هذا التجنيد لا يعدو تحشيداً للطيف النجدي الوهابي على أساس هوية طائفية مناطقية، ولن يكون له سوى الأثر السلبي لدى الطرف الآخر أو الأطراف الاجتماعية الأخرى في المملكة، والتي تكون أول ردات فعلها هو مكافحة الهوية والثقافة والهيمنة الطائفية الوهابية، والقيام بمزيد من التعزيز للهوية الخاصة. واذا كانت الباحثة تعتقد أن (الكثير من أبناء البلد عندهم ربما حساسية زائدة من موضوع القبور وزوارها) يمكن استخدامهم في اللعبة الطائفية وصراع الهويات، فإن الصحيح هو أن هؤلاء لا يمثلون إلا أقلية في البلاد، والوهابيون لازالوا أقلية، وحساسيتهم مهما بلغت لا تقارن بحساسية وألم بقية المواطنين خاصة سكان الحجاز، بل وبقية المسلمين المذعورين من الأفعال الوهابية المقيتة. ومن الإستنتاجات غير المنطقية وغير الصحيحة التي توصلت اليها

الباحثة هو قولها: (ولا بد لنا ان نعترف ان زيارة القبور من اجل التبرك او الصلاة او النحر او حتى الذكرى هي من الامور التي مزقت وقسمت ولم توحد). الصحيح عكس هذا تماماً، لأن اعتقاد الأكثرية من المسلمين هو المهم، ومن يشذ كالوهابيين الذين يريدون فرض رؤيتهم على الآخر، هم من يمزّق. ولو تركوا للمسلمين الخيار بأن يفعلوا ما يشاؤون حسب معتقداتهم، هل كانت المسألة ستؤدي الى انقسام.

ان الطقوس الدينية وغيرها لها علاقة بالهوية، ولسنا هنا أمام بحث ديني نقول فيه ما يجوز وما لا يجوز، وهذه الطقوس موجودة في كل البلدان العربية والإسلامية، فلماذا لم تصبح عامل تقسيم في مصر مثلاً او حتى الهند او أندونيسيا؟! لماذا في السعودية؟ لأن المسألة لا تتعلق بممارسة الطقس بذاته، بقدر ما تتعلق بالهوية التي يراد استحضارها من خلال ممارسة الطقس. ان من يستحضر الهوية، يبحث عن التميز، فالهوية تقوم على التميز في الفكرة والممارسة، وهوية الوهابيين قائمة على نفي الآخر بكل ما لديه، وهم لا يهتمون بالتالي بالعوامل المشتركة بقدر ما يبحثون عن التميّز العقدي وادانة الممارسة التي لا تعجبهم باعتبارهم محتكري الحق والحقيقة. ولو ان مشكلة المواطنين مع الوهابية تقوم على البحث عن المشتركات الثقافية وعدم إقحام أنفهم في هويات وخصوصيات الآخرين، إذن لحلت المشكلة منذ زمن. ولكن ماذا نصنع مع جماعة تعتبرنا كفرة مراطقة، ماذا نصنع مع جماعة احتكارية لله ورسوله وقرآنه وتراثه فضلاً عن احتكار الدولة برمتها؟! هل المطلوب من الحجازي أن يغمض عينيه عن تراثه وتراث المسلمين الخالد وهو يهدم بمعاول الوهابية، بحجة البحث عن المجال المشترك. المشترك هنا هو ان تدين بالوهابية! وهذا مستحيل، ولو كان للوهابية أن تنجح لنجحت في الداخل رغم عنفها وشراستها ودعم آل سعود لها.

وإذا كنا في موضع القسمة الصحيحة، خاصة وأن لكل طرف مسلم حججه الدينية، فإن فرض رأي الأقلية الوهابية على عموم المواطنين خطأ، ويكون الخطأ مضاعفاً حين يفرضونه على كل العالم الإسلامي، لمجرد أنهم يمتلكون القوة والبطش والسيطرة على الأماكن المقدسة. ان ظهور الوهابية كمذهب في العالم الإسلامي هو بمثابة انشقاق عن المسلمين عامة ورؤيتهم الخاصة بهذا الشأن، وبدل أن ينقد ممارسو الطقس، يجب أن يدان الوهابيون الذين منعوا تلك الممارسة.

بالطبع، فإن هدف البحث عن القواسم المشتركة السياسية شأن كل عاقل ومواطن، والمشترك هو الدين، وتراث النبي الأمين، واللغة، والمواطنة بكل ما تحمله من معاني. فهل القابضون على زمام السلطة يؤمنون بهذا؟ هل يقبلون أن يتمتع المواطن عامة بمثل ما يتمتع به النجدي، الذي تحفظ له هويته المذهبية وتدرس وتنشر في الإعلام المحلي وفي العالم وتطبق فتاوى علمائه فحسب، هل يقارن هذا بالحجازي الذي منعوا حتى مؤذنيه من الأذان، وعلمائه من الوعظ؟! هل يقبل النجدي المساواة مع الحجازي وغيره من المواطنين فيحصل على نصيبه من السلطة والثروة والإهتمام وخدمات الدولة مثل غيره؟ هل يقبل هؤلاء بتوزيع مغانم السلطة على الجميع بالتساوي، فلا يصبح الجيش نجدياً، ولا الحرس الوطني نجدياً، ولا القرار السياسي بيد الفئة النجدية؟

هل يقبلون بإصلاح سياسي كهذا؟

هذا من المشتركات، وعنوانها العريض: الإصلاح السياسي! فلتقم الإنتخابات الصحيحة، ولتقم اللامركزية بحيث تدير كل منطقة شؤونها دون أن يكون على رأسها أمير نجدي وطاقم نجدي. ولتتمتع كل منطقة بخصوصياتها في التعبير والممارسة الدينية، ولتعبر عن هويتها في ظل هوية وطنية أعلى، لا هوية وهابية ولا هوية نجدية ولا هوية مسعودة مزورة.

ان النزعة باتجاه الإنفصال سببها قمع هذه الهويات، ووضع هوية نجد مكانها.

وإن زيادة تلك النزعة سببه عدم وجود أو حتى قبول بمشروع إصلاحي وطني يحفظ للمواطنين كرامتهم من تغول الوهابية النجدية. لأن الإصلاح غير ممكن في الزمن المنظور القادم، سنشهد نزوعاً متزايداً باتجاه الإنفصالية كحل وحيد متبقي أمام المواطنين غير النجديين.

لقد حاولنا البحث عن شركاء وعن مشتركات سياسية تبقي البلاد موحدة، وكان هذا دأب النخب الحجازية منذ سقوط الدولة الحجازية على يد النجديين، ولكن مع الزمن بهت الأمل، وتغوّلت سياسة التنجيد، ومضت الإحتكارية الى أبعد مداها في عهد الملك فهد، فهل بعد هذا من عتب على النخبة الحجازية؟ ام ان العتب واللوم على من يزعم الدفاع عن وحدة ظالمة، ويمارس كل ما ينقضها.

لا يهمنا توصيف (النجدي) لنا بأننا انفصاليون. فالإنفصالي الحقيقي في الممارسة هو الثلاثي الأشر: المسؤول النجدي، والامير السعودي، والطائفي الوهابي. بأفعال وسياسات هؤلاء، صارت الإنفصالية ملاذاً لكل مشاعر البؤس والألم والإحتقان. ولذا لن تتوقف مشاعر العداء للمركز ولا للوهابية المتطرفة ولا مشاعر النزوع الإنفصالي، في حال استمرت الدولة وحلفاؤها في سياستهم القديمة الجديدة. والحل اليوم ليس بيد النخبة النجدية، بل يمكن القول ان الشارع الحجازي تتملكه النزعة أكثر من النخب. الحل اليوم بيد الدولة والقابضين عليها: إما دولة قانون يحترم ويتساوى فيها الجميع وفق قواعد المواطنة، وإما طلاق لا رجعة فيه بالثلاث!

لا نختلف مع الدكتورة مضاوي الرشيد بأن الوحدة مع الإصلاح أفضل، ولكن أين هو الإصلاح، وال سعود يطيلون مخالب الوهابية لضرب الإصلاح وضرب الجماعات المناطقية والمذهبية؟ ولا نختلف مع الباحثة في المطلوب الذي حددته وهو (تبني منظورات جديدة يتم على أساسها بناء هيكلية سياسية وادارية يمكن الجميع من العيش في وحدة حقيقية قائمة على الإعتراف بالجميع وليس على منطلق التكفير والهيمنة السياسية والتي بنيت على مثل هذه المنطلقات. هذه الهيكلية الجديدة تضمن للمناطق المختلفة استقلالها المحلي وشخصيتها الثقافية وممارساتها الاجتماعية ومذاهبها المختلفة.. كذلك نتحدث عن قضاء محلي ومحاكم محلية تدار من قبل قضاة المنطقة وليس اولئك الذين تصدرهم السلطة السياسية المركزية وحليفتها الدينية. كذلك نتحدث عن اعلام وصحافة محلية تعني بشؤون المنطقة الداخلية وثقافة اهلها واحلامهم وليس إعلاما مركزيا يفرض اخبار من استقبل وودع على الجميع. مثل هذه التطورات تتطلب إعادة النظر بالدولة المركزية وتوزيعها للثروة وهيمنتها الثقافية وقبولها بالتعددية القضائية والتربوية والاجتماعية. عندها فقط سننتقل الى كيان لا يعتمد في مشروعه السياسي على مقولات الشرك والكفر والتخوين والعمالة والعنصرية الى كيان يعتمد على المشاركة في صنع القرار والمساواة في توزيع الثروة المركزية.. يجب على الجميع ان يتمسك بوحدة هذه الجزيرة ككيان يحتضن اهم المقدسات واكبر الثروات. هذه الوحدة لا تهددها سوى عنجهية المركز السياسي. الحل في اللامركزية السياسية التي تضمن حقوق الجميع وتعترف بشخصيتهم المحلية).

مَنْ يمكن له أن يرفض حلاً مثل هذا؟

هذا ما يريده المواطنون في كل المناطق عدا نخبة نجد! فهي التي تحتاج الى إقناع والى ضغط حتى لا يكون الحل الوحيد هو التقسيم. فإلى تلك النخبة النجدية ـ وهي صاحبة الفعل والقرار ـ لا إلينا ـ أصحاب الخيارات المحدودة وردود الفعل ـ نتوجه بما كتبته مضاوي، وما كتبناه تعليقاً عليه!

السعودية: حملة لإحياء القبور أم هدم للقصور؟

د. مضاوي الرشيد

يوما بعد يوم تتبلور ملامح حركة حجازية تعني بالحفاظ على ما تبقي من آثار اسلامية في مكة المكرمة وغيرها من مناطق الحجاز. لقيت هذه الحركة التراثية والثقافية في ظاهرها والسياسية في ابعادها تجاوبا من قبل الصحافة العالمية والعربية. خرجت عدة مقالات في الصحف الغربية والعربية منطلقة من وجهة نظر واضحة وصريحة. كل هذه المقالات تدين النظام السعودي وتتهمه بممارسة حملة تطهيرية قضت على الكثير من المعالم الاثرية الاسلامية في منطقة الحجاز كالقباب المبنية على القبور والمقابر والمباني المشيدة عليها بالاضافة الى بعض المساجد القديمة والمنازل المرتبطة بتاريخ الاسلام الاول. اعتمدت هذه المقالات على مقابلات مع رموز حركة احياء التراث الاسلامي من كتّاب ومثقفين ومختصين بالتراث وعلم الآثار. الكل يدين ما يسمونه بالهيمنة السعودية ـ الوهابية على الإرث الاسلامي العالمي، وفرض نمط معين من التفسيرات والممارسات الدينية ليس فقط على سكان المنطقة، بل على من يزورها من مسلمي العالم، وكذلك فرض المذهب الواحد الذي همش وحتى ألغى التعددية المذهبية، ورسخ الاقصائية، الى ما هنالك من تهم وأوصاف ونعوت تعودنا على سماعها من معارضي الهيمنة السعودية بكافة أشكالها السياسية والثقافية والاقتصادية والمذهبية على منطقة الحجاز.

وبينما حركة احياء التراث الاسلامي الأثري تنشط في المجال العالمي تظهر بشكل مواز لها بعض الادبيات التي تحاول جاهدة لتثبيت وبلورة هوية ثقافية للإحياء من سكان منطقة الحجاز. يعتمد هؤلاء على قاعدة ما يسمي بالعادات والممارسات الاجتماعية والطقوس الدينية واللغة المحلية، او بالأصح اللهجة المحلية الحجازية كأساس لهذه الهوية المزعومة المشتركة بين أبناء المنطقة، هذا بالاضافة الى منظورات التعددية العرقية والتي جعلت مدن الحجاز تشتهر بانصهار الأجناس والأعراق، وهو ما يميز هذه المدن عن الريف الحجازي، حيث سكنت قبائل ربما لم تختلط مع غيرها من الوافدين الى المنطقة بسبب الحج.

تشكل هاتان المحاولتان أي محاولة إحياء التراث الأثري ومحاولة إحياء تراث الإحياء الثقافي بداية مرحلة جديدة في العلاقة بين المركز السياسي ـ الرياض، وبين المركز الديني المتمثل بالحجاز. اطلت هاتان المحاولتان في مرحلة حرجة على الصعيد الداخلي السعودي والاقليمي العربي، إذ تشهد المنطقة كلها حالة اعادة صياغة للهويات بجملتها، فبينما ترفع الأنظمة شعارات جديدة على مسامع مواطنيها، كشعار هذا الوطن اولا، والذي قد فسره البعض على انه تنصل من مسؤوليات عربية تقع خارج حدود القطر الجغرافي، نجد ان شعوب المنطقة بمثقفيها وعامتها تدور في حلقة تحاول ان تصيغ من خلالها مفاهيم وشعارات ضيقة. فالكل اليوم ينبش المخزون الإقليمي والطائفي والمناطقي والحضري والبدوي. يحصل هذا في حلبة تتسم بهيمنة خارجية غير معهودة.

يجب ان نقيم حركة إحياء التراث الإسلامي المنطلقة من الحجاز ومحاولات صياغة الهوية الجديدة (القديمة طبعاً) من باب العلاقة بين المركز السعودي السياسي والطرف (مع الأسف اصبح الحجاز طرفا سياسيا رغم انه المركز الديني)، خاصة وأن إحياء التراث الاسلامي لا يلقى صدى في الحجاز فقط، بل أنه يجد تجاوباً مع مجموعات مسلمة اخرى منها مثلا أبناء الطائفة الشيعية والذين هم أيضا يعتبرون الإرث الاسلامي لآل البيت قد تم طمسه في أماكن كمقبرة البقيع. كان آخر هذه المحاولات ما قام به مقتدى الصدر عندما زار الملك عبد الله في الرياض العام الماضي. الكل يعلم ان محاربة هذه الآثار الاسلامية لها تاريخ طويل بدأ عندما تمت الهيمنة السعودية على مكة في بداية القرن التاسع عشر ثم انحسرت وعادت من جديد عام ١٩٢٥ وهو العام الذي سقطت فيه مدن الحجاز في القبضة السعودية.

كيف لنا ان نفسر ظاهرة إحياء التراث هذه؟ نحن امام عدة خيارات. الأول: هل هذه محاولة مباشرة لتدوين تاريخ المعول السعودي والذي حسب أرشيف حركة احياء التراث قد هدم معظم الآثار العريقة في المنطقة من أجل الحفاظ على ما تبقي منها؟ طبعا هذا هو الهدف المعلن والذي يتردد دوما في تصريحات النشطاء في هذا المجال. ولكن أي تحليل لا يتخطى هذا الطرح هو قاصر على قراءة الوضع الحالي والمحلي الذي يدور في بيئة قد تغيرت ملامحها من خلال التدخل الأجنبي الواضح في العراق والتوسع الامريكي في المنطقة بالذات.


د. مضاوي الرشيد

نتساءل هل يا ترى أن حركة إحياء التراث هي محاولة استباقية تمهد لمشروع تجزئة السعودية وإقامة دولة الحجاز مثلا؟ هل هذه الحركة تستند على أجندة إنفصالية قد تتبلور في المستقبل؟ أم هل هي يا تري محاولة لإخراج الأماكن المقدسة من الهيمنة السعودية ووضعها تحت هيمنة اسلامية تشترك فيها الدول الاسلامية؟ التساؤل الاخير مبني على طروحات كنا قد سمعناها تصدر من جهات كثيرة تخرج عادة مع مواسم الحج وخاصة عندما تحدث الكوارث التي تودي بحياة الحجاج إما بسبب الازدحام او بسبب سوء التدبير من الجهات السياسية والأمنية السعودية.

التساؤل الاخير الذي نطرحه هو هل يمكن يا ترى اعتبار هذه المحاولات محاولات لتقويض سلطة القصور السعودية عن طريق إحياء تراث الآثار؟

لا بد لنا ان نذّكر بالخلفية التاريخية التي انطلقت منها حركة إحياء التراث الاسلامي هذه.

تمت الهيمنة السعودية على منطقة الحجاز

من منظور قطع دابر الشرك والمشركين، وخير دليل على ذلك رسالة وجهها احد أئمة الدعوة النجدية الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ الى إمامه سلطان نجد حينها عام ١٩١٨ وقال فيها ما معناه ان الشيطان قد فعل فعله في منطقة الحجاز وعسير، وبعد زيارة لهذه المناطق اخبره انه قد رأى بأم عينه كيف ان هذا الشيطان يعيش في تلك الأرض ومع أهلها، فسقط هؤلاء ولم يروا النور والهداية بل تمرغوا في جاهلية اسوأ من جاهلية كفار قريش قبل الرسالة المحمدية، وها هم اليوم على هاوية جهنم اذ انهم يعبدون القبور ويقيمون الأضرحة عليها ويطلبون الشفاعة من الأولياء الأحياء منهم والأموات. هذا الخطاب التاريخي القديم لم ينقطع بل استمر وهو مستمر حتى يومنا هذا وليس للمرء الا زيارة المواقع الالكترونية، وليس القبور ليرى كيف ان الاتهامات والاتهامات المضادة تتأصل وتزداد حدة ببركات التكنولوجيا الاتصالاتية الحديثة. منذ البداية قام علماء الحجاز وأهمهم حينها مفتي مكة الشيخ احمد دحلان الشافعي بالرد على اتهامات التكفير الجماعي لمنطقة الحجاز فكتب كتابا عنوانه الدرر السنية في الرد على الوهابية يبرئ فيها منطقته وأهلها من هذه التهمة الخطيرة ووصمة (القبوريين) التي روجت في الخطاب السياسي والديني السعودي عندما يذكر أهل الحجاز في مروياتهم.

نستطيع أن نجزم ان حركة إحياء التراث الاسلامي في الحجاز، هي نافذة نطل منها على مستقبل السعودية وليس ماضيها، اذ ان هذا الماضي سيبقي في الأرشيف حتى يحين موعد كتابته. نعتقد ان هذا المستقبل اما سيكون خطيرا للغاية وذي عواقب وخيمة على الجميع، او سيكون فرصة تاريخية لاعادة صياغة وحدة الجزيرة العربية على أسس ثابتة لا مجال فيها لهيمنة مركز واحد وتهميش للاطراف، والتي قد يكون بعدها الديني أهم بكثير من المركز السياسي الوقتي.

نستطيع الجزم بان معركة إحياء التراث الاسلامي هي معركة سياسية بالدرجة الاولي وما تاريخ القبور وتراثها إلا محاولة لدفن القصور في منطقة هي بالدرجة الاولى إرث لكل المسلمين وليس فقط لمن سكن واستوطن الحجاز ومن هيمن عليه سياسياً، رغم ان تدابير أمور المنطقة الدينية والحياتية لا بد ان يكون لسكانها المحليين أولا وأخيرا بسبب ارتباطهم تاريخيا ومكانيا بهذا الإرث العالمي، ومن مبدأ اهل مكة أدرى بشعابها.

منذ فترة والنظام السعودي يرصد محاولات أهل الحجاز ولكنه خرج عن صمته مؤخرا واعلنها حربا على صفحات الكتب حتى هذه اللحظة، اذ ظهرت بعض الأدبيات التي تدين دعاة الهوية الحجازية بشكل واضح وصريح.

اعتقد ان المعركة لم تتضح معالمها حتى الآن، ولكن نجزم ان محاولة حماية الارث الاسلامي الاثري يعرضها بشكل تلقائي لهجوم مضاد يلعب على الخوف من التمزق والتشرذم ودعوات الانفصال خاصة في نظام سياسي يتخبط في شرعيته لا يدري هل هي في السلفية الدينية أم الليبرالية الغربية أم الانفتاح الاقتصادي أم السيف؟ يعلم النظام ان الكثير من ابناء البلد عندهم ربما حساسية زائدة من موضوع القبور وزوارها فهو مستعد ان يجند هؤلاء في حرب سياسية لا علاقة لها بالطقوس والممارسات الدينية كما فعل في السابق. ولا بد لنا ان نعترف ان زيارة القبور من اجل التبرك او الصلاة او النحر او حتى الذكرى هي من الامور التي مزقت وقسمت ولم توحد. فيجب على كل مخلص ان يركز على القواسم المشتركة وليس ما يثير الجوانب الوحشية التي عادة تغذيها الإنقسامات الفرعية.

هذا الموقف الذي ندعو له لا يعني ولا يجب ان يعني مهادنة السلطة القمعية المركزية التي فُرضت في السابق بالسيف وعلى جثث الكثير في الطائف وغيرها من المناطق الحجازية. يجب على حركة إحياء التراث ان تتجاوز الأحجار والقبور والآثار، وتطور ذاتها لتصبح حركة شاملة معنية بالإحياء وخاصة حاضرهم ومستقبلهم. على هذه الحركة ان تقف موقفا جريئا وتبحث عن جسور ليس فقط مع ريفها القروي الحجازي وانما مع الفعاليات الاخرى في المناطق المتعددة التي تتكون منها الدولة السعودية. عندها فقط ستخرج هذه الحركة من تهمة الانفصالية والمناطقية في مرحلة تاريخية خطيرة تعاد فيها محاولات رسم الخرائط والجغرافيا.

يجب على الجميع ان يستفيد من تجارب الشعوب الاخرى، خاصة تلك المتصفة بالتعددية الثقافية والمذهبية. تجربتنا في الجزيرة قد تكون سهلة وأكثر سهولة من تجارب الأمم الاخرى في الشرق والغرب من بريطانيا مرورا بسويسرا وانتهاء بالهند ذات التعددية العرقية والدينية. ففي الجزيرة كلنا عرب، وكلنا مسلمون وان فرقتنا الممارسات الاجتماعية واللباس واللهجة والعادات والتقاليد. ما يجمعنا اكثر بكثير مما يفرقنا، ولكن لا ننسى ان التفرقة بيننا كانت من اهم المخططات السياسية التي انطلقت تحت شعار اعادتنا الى الاسلام، وهو شعار واه، وصمنا بالكفر، واختزل الرسالة المحمدية، بل حتى أنه ألغاها عندما قرر ان الشيطان قد عشش في أقدس الأماكن .

يجب على حركة إحياء التراث الإسلامي ان توسع نطاقها وتتبني منظورات جديدة يتم على أساسها بناء هيكلية سياسية وادارية يمكن الجميع من العيش في وحدة حقيقية قائمة على الإعتراف بالجميع وليس على منطلق التكفير والهيمنة السياسية والتي بنيت على مثل هذه المنطلقات. هذه الهيكلية الجديدة تضمن للمناطق المختلفة استقلالها المحلي وشخصيتها الثقافية وممارساتها الاجتماعية ومذاهبها المختلفة. هذه الهيكلية لن تتم عن طريق مجالس بلدية محلية لم تستطع ان تحارب انواعا مختلفة من البعوض المسؤول عن حمم تفتك بسكان المنطقة فما بالك بتمثيل أهل هذه المنطقة. نحن هنا نتحدث عن تمثيل سياسي حقيقي ليس فقط للحجاز بل لجميع المناطق يأتي من خلال مجالس محلية تتمتع بقدر عال من الاستقلالية. كذلك نتحدث عن قضاء محلي ومحاكم محلية تدار من قبل قضاة المنطقة وليس اولئك الذين تصدرهم السلطة السياسية المركزية وحليفتها الدينية. كذلك نتحدث عن اعلام وصحافة محلية تعني بشؤون المنطقة الداخلية وثقافة اهلها واحلامهم وليس إعلاما مركزيا يفرض اخبار من استقبل وودع على الجميع. مثل هذه التطورات تتطلب إعادة النظر بالدولة المركزية وتوزيعها للثروة وهيمنتها الثقافية وقبولها بالتعددية القضائية والتربوية والاجتماعية. عندها فقط سننتقل الى كيان لا يعتمد في مشروعه السياسي على مقولات الشرك والكفر والتخوين والعمالة والعنصرية الى كيان يعتمد على المشاركة في صنع القرار والمساواة في توزيع الثروة المركزية. في مثل هذا الكيان الجديد لا يوجد مكان لاحياء أمجاد زعامات سابقة ماتت ودخلت ارشيف التاريخ بل هناك المكان لزعامات تمثل الشرائح الجديدة وتطلعاتها ندق لكم ناقوس الخطر القادم وبصراحة واضحة حتى لا نتفاجأ بمخططات تطبخ اليوم على نار هادئة. يجب على الجميع ان يتمسك بوحدة هذه الجزيرة ككيان يحتضن اهم المقدسات واكبر الثروات. هذه الوحدة لا تهددها سوي عنجهية المركز السياسي والتي يقامر عليها الخارج من اجل تمرير مشاريع لا تخدم إلا مصالحه. مشروع احياء التراث والقبور لن يعيد الاموات الى عروشهم والحل في اللامركزية السياسية التي تضمن حقوق الجميع وتعترف بشخصيتهم المحلية. وربما يأتي اليوم الذي نرى فيه مشروع الولايات العربية المتحدة يتطور ويزدهر ويكون مثالا يتطلع للانضمام اليه اخوان لنا في اليمن والخليج بجميع دويلاته، سيأتي هؤلاء من منطلق المساواة واحترام المحلي وليس من مبدأ هيمنة الأخ الأكبر.

القدس العربي - ٢٠٠٦/٥/١

في انتخابات مجلس حقوق الانسان للأمم المتحدة

الرهان السعودي بلا رصيد حقوقي

كانت السعودية على موعد في التاسع من مايو مع جولة إنتخابات على مستوى دولي.. فقد شجّعها الطلاء الجديد لوجهها الحقوقي المفتعل على الترشيح لمقعد في مجلس حقوق الانسان التابع لهيئة الامم المتحدة والذي من المقرر أن يطوّر ويحل مكان هيئة حقوق الانسان السابقة، التي فشلت في إلزام الدول الاعضاء بإضبارة حقوقية.

وفيما تبدو غمامة النفط بأسعاره المتصاعدة عاجزة عن حجب الحقائق الاخرى المتصلة حصراً بسجل حقوق الانسان والوضع السياسي الداخلي، بعد أن أحجمت العائلة المالكة عن السير في خط إصلاحي واضح وثابت، كان بالتأكيد أمراً ملفتاً مطالبة السعودية بمقعد في الهيئة الحقوقية التابعة للأمم المتحدة بمؤهلات حقوقية شبه معدومة.

فقد أصبحت السعودية آخر دولة غير ديمقراطية بسجل حقوقي سيء تطالب بمقعد في مجلس حقوق الانسان التابع لهيئة الامم المتحدة. وقبيل اقتراب موعد الانتخابات، فإن القضية الخلافية الرئيسية تمحورت حول الاعضاء الذين سيصعدون الى المجلس، فيما يناضل الناشطون في مجال حقوق الانسان لجهة تكريس جهودهم من أجل ضمان توفير أفضل عضوية ممكنة. إذ ليس من المعقول أن تتسنم حكومات معروفة بسجّلات حقوقية سيئة مناصب في هذا المجلس وأن تشارك في صناعة قرارات حقوقية على مستوى عالمي.

مجلس حقوق الانسان الذي تأسس في رهان من أجل استعادة موقعية هيئة الامم المتحدة في مجال حقوق الانسان بعدما فقدت مؤسستها الرائدة، هيئة حقوق الانسان، مصداقيتها حين أصبحت الحكومات المنتهكة لحقوق الانسان أعضاء فيها حيث قاموا بمنع الانتقادات المصوّبة اليهم ولحلفائهم.

المناصرون لقرار هيئة الامم المتحدة بتشكيل المجلس يرون بأن الاخير سيكون أشدّ تأثيراً وفاعلية من سابقه، لأن الوثيقة تطالب الدول الاعضاء المائة والحادي والتسعين في هيئة الامم المتحدة بالأخذ بنظر الاعتبار سجلات حقوق الانسان للمرشحين قبل التصويت. إضافة الى ذلك، فإن كل عضو سيخضع الى مراقبة دورية، بالرغم من أن فصل أي عضو يتطلب ثلثي اصوات المجلس.

وبالرغم من هذه التطورات المشجّعة، فإن من بين الدول الخمس والستين التي أعلنت حتى الآن عن مرشحيها لمجلس حقوق الانسان المؤلف من سبع وأربعين عضواً، هناك عدد من هذه الدول التي يخضع احترامها لحقوق الانسان للمسائلة الدائمة، وتشمل كلاً من ايران، وكوبا، والصين، وتونس، والكاميرون، والجزائر، وباكستان، وروسيا، وأذربايجان، والآن السعودية كقادم جديد الى قائمة المرشّحين.

وفي رسالة الى الدول الاعضاء الاخرى في هيئة الامم المتحدة، لمطالبة الدعم لترشيحها، ذكرت الحكومة السعودية بأنها (أكّدت على التزامها للدفاع وحماية وتطوير حقوق الانسان. وأن هذه الالتزام قد ظهر في أدائها كعضو في هيئة حقوق الانسان).

ولكن هذه الدولة الدينية تقع على قائمة (الانظمة الأكثر قمعية في العالم) حسبما تقييم هيئة حقوقية مستقلة (Freedom House) كما أنها مصنّفة كواحدة من بين ثمان (بلدان باعثة على القلق الخاص) بحسب تقرير وزارة الخارجية الاميركية حول انتهاك الحرية الدينية.

مشاركة حكومات معروفة بسجلاّت حقوقية سيئة في صناعة قرارات حقوقية على مستوى عالمي يهدد مصداقية المجلس الجديد

وكانت واشنطن قد ذكرت في بداية أبريل الماضي بأنها لن تترشح لانتخابات مجلس حقوق الانسان في الجولة الحالية. وكانت الولايات المتحدة، من بين أربع دول، صوّتت ضد قرار تأسيس المجلس على أرضية أن هيئة الامم المتحد لم تبذل مساعي كافية لحلحلة مشكلات الهيئة السابقة.

وتعد منظمة هيومن رايتس ووتش وأمنستي انترناشيونال، من بين منظمات حقوقية غير حكومية، داعماً لقرار تأسيس مجلس حقوق الانسان، وترى هذه المنظمات بأنه على الرغم من بعض القلق حيال الضغوطات المحتملة التي قد يواجهها المجلس فإنه سيقدّم أفضل فرصة منذ عقود لتأسيس هيئة حقوقية أكثر فاعلية بالنسبة للامم المتحدة. وقد أسست كل من المنظمتين موقعين خاصين لتسليط الضوء على انتخابات التاسع من مايو لمجلس حقوق الانسان، كما فعل الشيء ذاته عدد من المنظمات الحقوقية.

في موقعها على الانترنت، وثّقت هيومن رايتس ووتش سجّل التصويت لكل مرشح في آخر جلستين للاجتماع العام لهيئة الامم المتحدة، لقياس نسبة أصواتها التي كانت لصالح حقوق الانسان. وقد جاءت معدلات المرشحين الآسيويين لمجلس حقوق الانسان بين ١٠ بالمئة في حالات مثل إيران وأندونيسيا وماليزيا الى ٩٥ بالمئة بالنسبة لليابان. وسجّلت السعودية ٢٥ بالمئة و١٥ بالمئة لكل من الصين وباكستان.

وبالنسبة للمرشّحين من أميركا اللاتينية، صوّتت كل من كوبا وفنزويلا لصالح حقوق الانسان بنسبة ٢٠ بالمئة، بينما في المقابل سجّلت كل من نيكاراغوا وبيرو نسبة ١٠٠ بالمئة.

بالنسبة للمعدلات المنخفضة بين الدول التي تطمح الى الترشيح في مجلس حقوق الانسان وتشمل روسيا بنسبة ٢٥ بالمئة والبحرين ٢٠ بالمئة وبنغلادش ٢٠ بالمئة. أما المنافسون الافارقة، فإن نسبة التصويت لصالح حقوق الانسان فقد تراوحت بين ٣٥ الى ٥٥ بالمئة، بينما بلغت النسبة في أوروبا الغربية والمجموعات الاخرى ١٠٠ بالمئة.

وقد ذكرت منظمة هيومن رايتس ووتش على موقعها في شبكة الانترنت بأنه في الخامس عشر من مارس، صوّتت الاغلبية المطلقة في الاجتماع العام لهيئة الامم المتحدة، في خطوة لافتة تجاه ضمان إخضاع الحكومات المسيئة لحقوق الانسان للمسائلة في مجال انتهاكات حقوق الانسان، على إنشاء مجلس حقوق الانسان، والذي سيقوم بإستبدال هيئة حقوق الانسان سيئة الاداء والبائدة الآن. وذكرت المنظمة بأنها لعبت دوراً ريادياً في مجال منع تكرار ترشيح حكومات مخالفة لحقوق الانسان كأعضاء والاخفاق في انتقاد ممارسات المخالفين لحقوق الانسان مثل السودان والسعودية وزمبابوي. وتعلّق المنظمة بأننا في دعم انتخابات عضوية المجلس في التاسع من مايو سنقوم بدفع الحكومات من أجل تصميم إجراء يسمح بإستعراض عالمي بصورة دائمة

للتحقيق في سجلات حقوق الانسان لكل الدول.

في السياق نفسه، فقد وضع مشروع معهد هدسون تقييماً لمرشحي مجلس حقوق الانسان. ونقل معدلات فريدوم هوس، وتوصل الى أن ١٣ من المرشحين هم (غير أحرار) وأن ٢٠ مرشحاً آخراً هم (أحرار جزئياً) وأن ٣٢ مرشحاً هم (أحرار). وسيعقد مجلس حقوق الانسان أولى جلساته في جنيف في ١٩ يونيو القادم.

حرية اقتصادية متدنية

من جهة أخرى، نشرت منظمة إنديكس للحرية تقريراً لهذا العام ٢٠٠٦ صنّفت فيه السعودية في قائمة الدول التي تتمتع بقدر ضئيل من الحرية الاقتصادية حيث حازت على مرتبة ٦٢ وسجلّت معدلاً وصل الى ٢.٨٤.

وذكر التقرير بأن السعودية تشتمل على احتياطات نفطية ثابتة تبلغ أكثر من ٢٦٠ مليار برميل النفط وتمثل ربع الامدادات العالمية. وتواجه السعودية نمواً سكانياً متسارعاً، ومعدلات بطالة مرتفعة، وتحديات سياسية من قبل المتطرفين الاسلاميين. وقد واجه التحالف التقليدي بين العائلة المالكة والمؤسسة الدينية كبحاً من قبل العلماء الشباب المتطرفين الذين استنكروا فساد العائلة المالكة والروابط الوثيقة مع الولايات المتحدة.

وقد حاولت الحكومة السعودية تنويع اقتصادها لتخفيض اعتمادها الكامل على صادرات النفط (وتمثل ٧٨.٨٤ بالمئة من إجمالي مداخيلها) وتقوية القطاع الخاص. وفي ديسمبر ٢٠٠٤ تم بيع شركة التأمين التعاونية المملوكة للدولة وهي أكبر شركة تأمين في العالم العربي الى القطاع الخاص، وهناك خطط لخصخصة عدد من الشركات المملوكة من قبل الدولة. وقد سجّل السوق السعودي أداءً سيئاً بمعدل ٠.٥ هذا العام، وإن كانت السياسة التجارية والنشاط البنكي والمالي سجلّت نقطة واحدة أفضل مما هي عليه في العام الماضي. وبلغ حجم التضخم في الفترة ما بين ١٩٩٥ وحتى ٢٠٠٤ بمعدل سنوي ٠.٣٤ بالمئة.

وفي مجال الاستثمار الاجنبي، فقد سجلت السعودية ٤.٠ بحسب تصنيف منظمة إنديكس، حيث ذكرت بأنه بالرغم من أن السعودية أخذت خطوات لفتح إقتصادها أمام الاستثمارات الاجنبية، فلايزال هناك موانع أساسية. في عام ٢٠٠٣، خفّضت الحكومة (القائمة السبية) للقطاعات التي تصنّف باعتبارها محظورة امام المستثمرين الاجانب من ٢٢ الى ١٩ قطاعاً. فقد يتملك المستثمرون الاجانب عقارات، تخضع للقيود، دون الحاجة الى شريك محلي. وكانت وزارة التجارة الاميركية قد أفردت قائمة (متطلبات حكومية بالنسبة للشركات لتوظيف مواطنين سعوديين، ودفع بطيء بالنسبة لبعض العقود الحكومية، وسياسة التأشيرة الصارمة بالنسبة لكل العمال، وفرض تمييز على اساس الجنس في كافة مجالات التجارة والمؤسسات الاجتماعية) كخصائص مميزة للاستثمار. ويجب على المشاريع الاستثمارية الاجنبية للحصول رخصة من الحكومة السعودية. وبحسب الممثل التجاري الاميركي فإن (الشركات المملوكة من الاجانب والحصة المملوكة من قبل الاجانب في المشاريع المشتركة تخضع لضريبة الدخل، والتي تتراوح بين ٢٠ الى ٣٠ بالمئة من صافي الربح). وبالنسبة للشركاء المتعاونين المحليين فيخضعون الى ٢.٥ بالمئة من الضريبة على الاصول المالية. وذكرت مؤسسة النقد الدولي بأن المقيمين قد يحصلون على حسابات بالعملة الاجنبية ولكن بالنسبة لغير المقيمين فإنهم بحاجة الى موافقة. وليس هناك قيود أو مراقبة على المرتبات وتحويلات الاموال. وقد يكون مواطنو وشركات السعودية ومجلس التعاون الخليجي قادرين على الدخول في نشاط استثماري في الشركات السعودية المصنّفة أو شراء ضمانات وقيود واستثمارات في السوق المالية، أما غير المقيمين فهم بحاجة الى إذن استصدار في السعودية، ويجب الموافقة على عمليات التبرئة المالية.

وفي المجال البنكي والمالي، ذكرت وزارة التجارة الاميركية بأن هناك ١١ بنكاً يعمل في السعودية، منها عشرة بنوك في الغالب سعودية وبنك تابع لمجلس التعاون الخليجي وهو (بنك الاستثمار الخليجي ـ البحرين). وهناك ثلاث بنوك خليجية حاصلة على رخص للعمل في المملكة ولكن لم يفتح أي منها أبوابه حتى الآن. وفي عام ٢٠٠٣، منحت مؤسسة النقد العربي السعودي (ساما) رخصة بنكية للبنك الهولندي، وهو أول بنك أجنبي من خارج مجلس التعاون الخليجي يحصل على رخصة منذ عشرين عاماً.

لابد من آلية فاعلة تسمح بفتح تحقيق شامل وجاد لسجلات حقوق الانسان لكل الدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة

وبناء على إيكونوميست انتيلجينس يونيت (هناك عشرة بنوك تجارية محلية منكشفة على الحكومة والمتعاقدين المعتمدين على مدفوعات الحكومة). ومعظم البنوك هي مشاريع مشتركة مع بنوك أجنبية. وتملك الحكومة ٥٠ بالمئة من البنك التجاري الوطني وخمس مؤسسات إعتماد خاصة. وقد خصصت الحكومة مؤخراً ٧٠ بالمئة من شركة التأمين الكبرى، المملوكة من قبل الدولة، وهي الشركة الوطنية للتأمين التعاوني. وقد سمحت الحكومة للاستثمار الاجنبي في القطاع التأميني. وهناك ما يشير أيضاً الى أن الحكومة تقوم بفتح القطاع المالي أمام الاستثمار الاجنبي، حيث سجّل القطاع البنكي والمالي في السعودية أداء أفضل بمعدل نقطة واحدة.

وفي مجال الرواتب والاسعار، فإن السوق يحدد معظمها. وقد ذكر تقرير الايكونوميست بأن (القانون الاسلامي يمنع السيطرة على الاسعار، وعليه فإنها غير قانونية في السعودية. وبالرغم من أن ذلك ينطبق على البضائع التي يزوّدها القطاع الخاص، فإن بضائع القطاع العام تحظى بدعم كبير في الغالب وتباع بأسعار غير السوق.. وتصرف الأدوية على أساس مدعوم عبر الخدمات الصحية ولكن ليس عبر شركات بيع المفرد. إن مراقبة الاسعار على الاسمنت المدعوم ومواد البناء تدار على مستوى المعامل وبيع الجملة، اعتماداً على المادة المنتجة محلياً أو المستوردة من الخارج. وتسيطر مؤسسة الشراء الحكومية على الاسعار بالنسبة للقمح والشعير، فليس هناك حد أدنى للمرتبات.

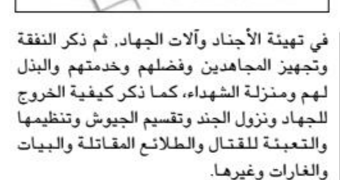
في مجال الحقوق الملكية، ذكرت اكيونوميست انتيليجنس يونيت أن (المستثمرين والعمال الاجانب العاملين في المملكة مازالوا يتساءلون حول فعالية نزاهة المحاكم السعودية..إن اعمال المحاكم التجارية بطيئة وغامضة.. ويعتقد البعض بأن المحاكم تميل لصالح الاطراف السعودية، وخصوصاً أولئك الذين لهم ارتباطات بالنخبة الحاكمة، في الخلافات مع الشركات الاجنبية أو الافراد الاجانب. إن تعزيز ومن ثم أمن العقود يضعف من خلال الطبيعة المعقدة والسيرورة الطويلة والحيادية المشكوكة للنظام القضائي).

وهذا يستدعي الحديث حول التشريعات، حيث ينظر اليها بأنها غير شفافة في السعودية، وأن البيروقراطية تشكّل عائقاً أساسياً أمام التجارة. إن تطبيق القوانين قد يكون متضارباً ومتناقضاً. وبحسب وزارة التجارة الاميركية (هناك قلة من الجوانب في النظام التشريعي للحكومة السعودية التي يمكن أن يقال عنها شفافة، بالرغم من أن سياسة الاستثمار السعودية أقل غموضاً بالنسبة لمناطق أخرى. فقوانين وسياسات الضريبة والعمل تنزع الى أن تكون لصالح التحويلات التكنولوجية العالية وكذا توظيف السعوديين أكثر من فتح باب المنافسة..إن الاجراءات البيروقراطية بطيئة، ولكن يمكن التغلب على السياسة الروتينية بصورة عامة عن طريق المثابرة والاصرار). بالاضافة الى ذلك، فإن الشركات الاجنبية توصّلت الى أن الفساد هو عائق أمام الاستثمار.. فالرشاوى يتم تلبيسها غالباً رداء الكموسيون كيما تكون مألوفة ومقبولة.

اما بالنسبة للسوق غير الرسمية والتي سجّلت معدل ٣.٥، فإن الشفافية الدولية لعام ٢٠٠٤ سجلت ٣.٤ للسعودية. وعليه فإن السوق السعودية غير الرسمية سجّلت هذا العام ٣.٥، أي أنها ٠.٥ أسوأ من العام الماضي.

تأجيل زيارة الملك الى واشنطن

الإرهاب في العراق عائقاً





تأجّلت الزيارة المقررة للملك عبد الله الى واشنطن في أبريل الماضي دون أن تشرح أية جهة أسباب ذلك، ولكن ما تسرب لاحقاً يلفت الى أن رئيس مجلس القضاء الاعلى الشيخ صالح اللحيدان الذي ورد إسمه في مايو من العام الماضي في وسائل الاعلام الاميركية كأحد المشجّعين على الارهاب في الولايات المتحدة والعراق كان أحد الاسباب وراء تأجيل الزيارة. ولربما إختارت الصحافة الاميركية قضية اللحيدان للضغط على الادارة الاميركية من أجل إفشال الزيارة، حيث أبلغت إدارة بوش الملك عبد الله بأن الوقت غير مناسب لاجراء الزيارة بسبب دعوى قضائية رفعت ضد اللحيدان تزامنت مع إستئناف كبريات الصحف الاميركية حملة انتقادات ضد السعودية في دعم الارهاب. وبالرغم من تصريحات عديدة صدرت عن اللحيدان ينفي فيها تلك الاتهامات بجانب استنكاره المتكرر لحوادث الحادي عشر من سبتمبر، الا أن التسجيل الصوتي للشيخ اللحيدان أثار حفيظة الاميركيين الذين باتوا يعتقدون بأن ثمة خطاباً سعودياً مزدوجاً حيال موضوع الارهاب، حيث يتم إستنكار العمليات الارهابية في العلن بينما يتم تمجيدها في السر. لقد تكرر استعمال الشريط المتضمن لتصريحات اللحيدان مرة ثانية، فمنذ زيارة عبد الله في مايو من العام الماضي الى واشنطن والتي سبقتها حملة متعلقة بضلوع مسؤولين كبار في الحكومة السعودية في مجال دعم العمليات الارهابية ضد القوات الاميركية في العراق، أعيدت إثارة القضية مرة ثانية في الشهر الماضي في ظل استعدادات لزيارة الملك عبد الله الى واشنطن منذ توليه العرش.

وبالرغم من محاولات الملك عبد الله تقليص دور المشايخ المتطرفين وملاحقة المنابع الايديولوجية للارهاب الا أن ثمة أدلة متواترة تلفت الى أن الساحة المحلية مازالت مشبّعة بكتابات تحريضية تشجّع على العنف والكراهية. فقد كشفت صحيفة الوطن السعودية في الثاني من مايو عن كتب تباع في المكتبات العامة في بريدة، شمال الرياض، تحرّض الشباب على الجهاد والخروج لقتال (الكفار) وتقدّم وصفات تفصيلية في كيفية إعداد وتصميم الاحزمة الناسفة لنيل الشهادة. وذكرت الصحيفة بأن الكتب المعروضة تشتمل على فتاوى بأسلوب يستثير عواطف الشباب، وتطالبهم بأن ينالوا المكارم والفضائل التي لايحول بينهم وبينها سوى الموت، وأخرى تشجع العمليات (الاستشهادية) وتحللها مع شرح طرقها وأسبابها، وفتاوى تجيز ارتداء المسلم حزاماً ناسفاً والدخول بين (الكفار) وتفجير نفسه واعتبار ذلك من ضروب الجهاد المشروع والشهادة.

وتضيف الصحيفة بأنها تمكنت خلال جولة في تلك المكتبات من العثور على كتاب بعنوان (مستند الأجناد في آلات الجهاد، ومختصر في فضل الجهاد)، وهو كتاب صادر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية عام ١٩٨٣ وطبع في دار الحرية ببغداد، ويتناول حروب التحرير والفتوحات وتشكيلات الجيوش والتخطيط العسكري والأسلحة والمعدات والتجهيزات وأنواعها وأقسامها وصناعتها وتأمين كل ما يحتاجه الأجناد من أجل تعبئتهم للقتال ووجوب الجهاد وفضله. وجمع

بات الاميركيون على قناعة بأن ثمة خطاباً سعوديا مزدوجاً حيال موضوع الارهاب، حيث يتم إستنكاره في العلن وتمجيده في السر

الكتاب مخطوطين فريدين هما (مستند الأجناد في آلات الجهاد) و(مختصر في فضل الجهاد) يمتلكهما قسم المخطوطات في المؤسسة العامة للآثار والتراث العراقية.

وينتهج المؤلف أسلوباً علمياً خاصاً في تقسيم هذين الكتابين بعد أن استقصى المعلومات وجمعها ورتبها في أبواب وفصول وأنواع وأصناف وجهات، وذلك بحسب ارتباط المعلومات ببعضها كأصول وفروع، ونسقها وعرضها بأسلوب سهل واضح المعنى مع احتفاظه بالعمق والشمول والإحاطة الكافية بكل جوانب المادة التي تناولها.

ووضع المؤلف الكتاب الأول (مستند الأجناد في آلات الجهاد) في ٣٠ باباً بدأها بذكر السلاطين وأمراء الجيوش ومكانتهم وما عليه في تهيئة الأجناد وآلات الجهاد، ثم ذكر النفقة وتجهيز المجاهدين وفضلهم وخدمتهم والبذل لهم ومنزلة الشهداء، كما ذكر كيفية الخروج للجهاد ونزول الجند وتقسيم الجيوش وتنظيمها والتعبئة للقتال والطلائع المقاتلة والبيات والغارات وغيرها.

أما في الكتاب الثاني (مختصر في فضل الجهاد)، فجعله المؤلف في ٥ أبواب، وأكّد في الأول والثاني منها ما تناوله في مستند الأجناد، ولكن بتركيز أكثر حين تناول الحديث عن السلطان وما عليه من أمور تجاه الأمة وما على الأمة تجاه السلطان وكيفية اتخاذ الأجناد وإعدادهم للقتال وآلات الحرب.

أما الأبواب الثلاثة الأخيرة فتناول فيها مواضيع لم يتطرق إليها في مستند الأجناد وهي الأحكام الشرعية المتعلقة بنتائج الجهاد والتي يمكن أن تسمى بأحكام الحرب، كالغنائم التي يحصل عليها الأجناد وتقسيمها في ما بينهم وبين عامة الناس وما يوضع على الأراضي سواء المفتوحة منها عنوة أو صلحاً أو التي أسلم عليها أهلها من الفيء والخراج وكيفية توزيعها وصرفها وبيت المال وحقوقه وجهاته وأوجه الصرف منه وكيفية إستقطاع الأراضي واستغلالها واسترجاع ما لم يستغل منها.

نشير الى أن هذا الكتاب ليس هو مادة استثنائية في المجال الثقافي الديني المشبّع بأفكار وفتاوى تحريضية، فمازالت الادبيات السلفية تواصل نشر تعاليم جهادية تنطوي على دعوات غير مباشرة للعنف والكراهية والخصومة مع الآخر، المسلم وغير المسلم.

من جهة ثانية، نشرت صحيفة الحياة في عددها الصادر في الثاني من مايو خبر القاء القبض على معلم يجنّد الشباب للقتال ضمن (جماعات عراقية). وذكرت الصحيفة بأن الأجهزة الأمنية في سكاكا ألقت القبض على معلم تربية إسلامية بتهمة تحريض الشباب وتجنيدهم للقتال في دول مجاورة. وأوضح مصدر أمني مطلع لـ «الحياة»، أن عملية القبض تمت من دون أي مقاومة، مؤكداً ارتباط المشتبه به بجماعات عراقية متشددة، تعمل على تهريب الشبان إلى الأراضي العراقية، لاستخدامهم في مقاومة قوات التحالف. وأضاف المصدر بأن المقبوض عليه متورط بعلاقات مشبوهة مع الجماعات المتشددة.

من الجدير بالذكر أن السفارة السعودية في

سيدني بإستراليا أبلغت الطلبة المبتعثين في الثامن من مايو بأن يأخذوا الحيطة من جماعات دينية متطرفة تسعى لاقناعهم بقطع دراستهم في الجامعات الاسترالية والتوجه للجهاد في العراق، ويأتي بلاغ السفارة بعد شكوى تقدم بها بعض الطلبة إزاء كثرة الحديث بين الطلاب المبتعثين حول الجهاد في العراق ووجود أعضاء سعوديين في الجماعات الدينية المتطرفة في سيدني يختلطون مع طلاب البعثات الذين يرتادون المساجد والمراكز الاسلامية، ويسعون الى إقناعهم بعدم جدوى الدراسة في مقابل نصرة دين الحق والمجاهدين في العراق!!

يذكر بأن سؤالاً من العراق وجّه في الرابع من شهر ربيع الثاني الى عميد كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية سابقاً الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان جاء فيه:(نحن في العراق أهل السنة والجماعة والملتزمين بمنهج سلف الأمة نعاني من المضايقات ما نعاني ونشكو أمرنا إلى الله ولكن يا شيخ لقلة أهل العلم عندنا فنجد الكثير من شبابنا مندفعين بنص أو بحديث دون النظر إلى نصوص أخرى وفهم سلف الأمة فتجده قد يقوم بالتفجير أو القتل)، وطالب السائل بتوضيح المنهج الذي يجب السير عليه في العراق، وهل يجوز يجوز قتل من وجود فيه ضرر على المسلمين من المسؤولين؟

فجاء في الجواب ما يلي: (اعلموا أن قتال الكفار والمعتدين على بلاد المسلمين وحرماتهم –أمر واجب ومتعين على القادرين من أهل ذلك البلد المحتل خاصة، ونظراً لقيمة الوطن في الإسلام أمر الله بقتال كل معتدٍ يريد إخراجنا منه وإفساد ديننا وأخلاقنا وامتصاص خيراتنا..وهذا القتال يجب أن يكون لإعلاء كلمة الله وفي سبيل نصرة المظلومين المضطهدين وكسراً لشوكة الكافرين المعاندين، وإذا كان من قتل دون نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه فهو شهيد، فإن هذه الأمور كلها توجد داخل الوطن فالمحاماة عنها محاماة عن الوطن والدفاع عن الوطن هو دفاع عنها، وحكم الجهاد بنوعيه: جهاد الطلب وجهاد الدفع باقٍ لم ينسخ، وإنما هو حسب حال الأمة من القوة والضعف، فإذا كانت الأمة قوية في عددها وعدتها فهي مطالبة بالأخذ بنصوص القتل والقتال وغزو المشركين والقعود لهم في كل مرصد؛ ليؤمنوا بالله أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإن كانت الأمة ضعيفة مستضعفة كحال المسلمين اليوم فالواجب الأخذ بآيات الصبر والمصابرة وعدم محارشة الكفار وإثارة حميتهم).

ثم يقول الدكتور الفنيسان (وتقدير جهاد الدفع وتحديده وإعلانه يخضع للاجتهاد الجماعي من أهل العلم الشرعي –في كل بلد بحسبه– إلا إذا اعتدي على المرء في نفسه أو ماله أو عرضه فيجوز له أن يدفع ذلك عنه ما استطاع، والأفضل أن يستشير قبل ذلك من هو أعلم منه وأكثر خبرة وتجربة. وليس هناك علامات ينتفي بها جهاد الدفع بل هو باقٍ إلى يوم القيامة ما دامت الأمة ضعيفة مستضعفة، واختيار أي نوع من نوعي الجهاد يخضع لتقرير أهل العلم والفكر والشوكة في كل بلد من بلاد المسلمين، وكل أهل بلد أدرى بشؤونهم من غيرهم). ويضيف قائلا (وإذا دخل العدو بلداً من بلاد المسلمين وجب على أهل ذلك البلد –المواطن منهم والمقيم– عيناً الدفاع عن ذلك البلد، بكل وسيلة مشروعة ممكنة، فإن لم يستطع أهل هذا البلد المغزو وجب على أقرب البلاد إليهم إعانتهم والدفاع معهم ونصرتهم، وجوباً عينياً أيضاً، ولو كان أهل ذلك البلد أو من جاورهم ليس عندهم عدة ولا عتاد يساويان أو يقاربان عدد وعدة العدو لأن قتالهم هذا قتال دفع لا طلب، وجهاد الدفع لا يشترط فيه ما يشترط في جهاد الطلب، بل الواجب عليهم في مثل هذه الحال أن يقاتلوا العدو بأي حال). ويوضّح ذلك (فجهاد



الوهابيون مصدر الدم الأساسي في العراق

تواجه بعض أجنحة الحكم انتقادات واسعة حيال دورها الموارب في دفع الشباب للتورط في مسلسل العنف داخل العراق

الدفع لا يشترط فيه اجتماع عدد معلوم، ولا يلزم أن يكون للمسلمين المغزوين إمام يستأذن كما لا يستأذن الأب ولا الأم، ونحو ذلك، وإن كان المسلمون المعتدى عليهم خليطاً من المؤمنين والكفار، لا يشترط لهم حينئذ أن تكون لهم راية واحدة يقاتلون تحتها، وإن أمكن ذلك فحسن، وإن لم يمكن تعاون المسلمون مع الكفار الذين يسكنون معهم على العدو الذي غزاهم في عقر دارهم، ولكن يجب على المسلمين ـ فرادى كانوا أو جماعة ـ حينئذ أن يعلنوا أن جهادهم إنما هو لإعلاء كلمة الله وفي سبيله لا غير).

ورد النفيسان على القائلين بوجوب وجود الامام وإذنه وقال (فلا أعرف أحداً من أهل العلم المقتدى بهم اشترطه، بل الواجب خلافه، وهو أن الإمام لا يكون إماماً إلا أن يقوم بالجهاد في سبيل الله، لا أنه لا يكون جهاد إلا بإمام).

لقد بدا الموقف من الجهاد في العراق بخاصة والجهاد عموماً بشقيه الدفع والطلب مورد نقاش في الآونة الاخيرة، على خلفية ذهاب مجموعة من الشباب الى العراق للمشاركة في أعمال انتحارية وعنفية تفتقر في الغالب كما توحي عبارات السائل للدكتور النفيسان الى المستند الشرعي الرصين. فبينما اعتبرت فئة قليلة من العلماء أن المشاركة في عمليات العنف في العراق يندرج في باب الفتنة والوقوع فيها، يلحّ علماء آخرون على اعتبارها من أفضل الجهاد، حيث لايزال هؤلاء العلماء يتطلعون الى اندحار الاميركيين في العراق وعودة الوضع الى سابق عهده. وفيما يميل بعض العلماء السلفيين الى توجيه دعوات خفية الى الشباب بنقل جهادهم الى داخل العراق، تنبعث الاستنكارات بوتيرة عالية من قبل المراقبين حيال غياب أبناء أو مقربين من هؤلاء العلماء عن ساحات الوغى فيما يتحول الشباب الآخرون الى حطب في نار الفتنة.

وتواجه بعض أجنحة الحكم في السعودية انتقادات واسعة على المستوى المحلي والدولي حيال دورها الموارب في موضوع تشجيع العنف عن طريق دفع المتحمسين الى التورط في مسلسل العنف داخل العراق، وهو ما ترك تأثيراته على علاقة الدولة السعودية مع العراق أولاً ثم مع العالم الغربي الذي وإن صمت برهة من الزمن لغايات اقتصادية محددة فإنه يجد نفسه أمام تقارير وحقائق متواصلة حيال دور مشبوه لجماعات مرتبطة ببعض أجنحة الحكم في دوامة العنف في العراق.

تقرير دولي صادر من لجنة حماية الصحافيين حول حرية الصحافة في السعودية

أمـراء، ورجـال ديـن، وأجـهـزة رقـابـة

المملكة العربية السعودية تخفف القيود عن الصحافة، ولكن ما تزال مواضيع الدين والسياسة ما تزال محفوفة بالمخاطر

إعداد جويل كمبانا*

نشر بتاريخ ٩ مايو، ٢٠٠٦

أحمد الفهيد، محررٌ بإحدى الصحف في الثالثة والثلاثين من العمر، يرتدي بنطال جينز باهت وقميصاً بنصف كم (تي شيرت) كثير التجاعيد ويحمل هاتفاً خلوياً دائم الرنين. إلا أنه وزيادة عن ملابسه هذه، يبدو غريباً عن المكان في مقهى بوسط العاصمة السعودية المتزمتة. يضع تحت إبطه أعداداً من الصحيفة الشعبية اليومية "شمس" تظهر في مكان بارز على صفحتها الأولى صورة ملونة تشد الانتباه لامرأة شابة سافرة تعرض بفخر قرطا في لسانها. أما المقالة المصاحبة للصورة فتحذر من المخاطر الصحية على الشباب السعودي الذين يعملون على تثقيب أجسادهم سراً دون إشراف مهني مختص.

وسَّعت الصحيفة منذ صدورها عام ٢٠٠٥ حدود تغطية الأخبار الاجتماعية والثقافية في أشد مجتمعات العالم العربي محافظةً من الناحية الدينية. وقد استهدفت صحيفة "شمس"، التي يمتلك جزءاً منها الأمير تركي بن خالد، الشريحة السكانية من عمر ١٨ إلى ٣٢. وعلى الرغم من حجم توزيعها المتواضع البالغ ٤٠ ألف نسخة يومياً إلا أنها حققت نجاحا باهرا. ويقول وزير الإعلام السعودي إياد المدني "في الواقع نحن نحب صحيفة شمس، فقد كانت الصحيفة الوحيدة التي تنبهت إلى حقيقة أن لدينا قطاعاً سكانياً من الشباب".

أيقظت صحيفة "شمس" كذلك المحافظين المتدينين المتشددين في البلاد، ففي شهر شباط/فبراير أصبح من الواضح أن الصحيفة تجاوزت الحدود المسموحة، إذ قامت الحكومة بإغلاقها مؤقتاً بعد نشرها صورة لأحد الكاريكاتيرات المثيرة للجدل التي تعرضت للرسول محمد والتي أثارت غضب العالم الإسلامي بأسره منذ ظهرت أول مرة في الصحيفة الدنماركية يولاند بوستن (Jyllands-Posten). وصرح أياد المدني للجنة حماية الصحفيين بأنه قام بإغلاق الصحيفة مدة أسبوعين لانتهاكها القيود المتعلقة بالمقدسات الدينية.

أما أحمد الفهيد فيحكي رواية أكثر تعقيداً، إذ يقول إن صحيفة "شمس" قررت نشر الكاريكاتيرات فقط بعد إعلان الشيخ عبد العزيز آل شيخ، الذي يمثل أعلى سلطة دينية في البلاد، بجواز ذلك إذ كان القصد منه إبراز الإساءة الموجهة إلى الإسلام. وأشار الفهيد إلى أن وزارة الإعلام — التي منحت الرقابة فيها الإذن بتوزيع العدد – لم تتحرك لإيقاف صدور الصحيفة إلا بعد عشرين يوماً من نشر "شمس" للكاريكاتير.

إن ما جرى في الأسابيع الثلاثة الواقعة ما بين تاريخ ظهور الصحيفة على أكشاك الصحف وتاريخ إغلاقها يظهر الكولسة السياسية التي تدور في الخفاء والتي تملي ما الذي يمكن وما لا يمكن قوله في الصحافة السعودية. وحسب الفهيد — الذي تم التحقق من صحة روايته من مصادر أخرى– فإن رجال الدين المتشددين والشخصيات الدينية احتجوا على النهج المتحرر لصحيفة "شمس" وحثوا السلطات على اتخاذ إجراء بحقها. وقد سمحت تسوية تم التوصل إليها من خلال وزارة الإعلام للصحيفة بالعودة إلى الصدور إذا ما سرحت من الخدمة رئيس تحريرها بتال القوس البالغ من العمر ٣٢ عاماً. وقد تم تسريحه من عمله أواخر شباط/فبراير الماضي.

هكذا هي القوى الخفية، والمتناقضة أحياناً، التي تعيق حرية الصحافة في المملكة السعودية. تقوم الصحف السعودية حاليا بنشر أنباء وآراء لم يكن من الممكن تصورها قبل بضع سنوات فقط، حتى مع توظيف الحكومة والمسؤولين الدينيين لمجموعة من الضوابط من خلف الكواليس لبتر التغطية الشجاعة التي تغضب الحكومة أو الدوائر الدينية المهمة.

عقب أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ المزلزلة، التي هاجم فيها إرهابيون الولايات المتحدة، وأحداث ١٢ أيار/مايو ٢٠٠٣ عندما هاجم انتحاريون الرياض وقتلوا أكثر من عشرين شخصاً، أظهرت وسائل الإعلام المكبوتة فصولاً من الشجاعة وتطرقت إلى موضوعات كانت محرمة مثل الجريمة والبطالة وحقوق المرأة، والأكثر أهمية التطرف الديني. ويقوم كتاب الأعمدة السعوديون حاليا بنشر مقالات تحقيقية حول استخدام المتطرفين الدينيين للمعسكرات الصيفية لتلقين أفكارهم للشباب السعودي، في حين يناقش المعلقون بأنه ينبغي للنساء التمتع بحق قيادة السيارات. لقد سمحت الحكومة لصحيفة يومية جديدة واحدة على الأقل بالظهور في أكشاك الصحف، ويُقال إن صحفاً يومية تم الترخيص لها مؤخراً هي في طريقها للظهور. ويجري حاليا منح مؤسسات إخبارية دولية طلبات الحصول على تأشيرات وطلبات اعتماد مهنية طويلة الأمد للصحفيين الأجانب، وهذه من الأمور التي لم تكن ممكنة في السابق.

إلا أن التقدم كان محدوداً وغير متواصل، وكان هامش الحرية هامشاً "يُمنح ثم يُنتزع" على حد تعبير خالد الدخيل وهو أكاديمي ليبرالي تم منع نشر المقالات التي يكتبها لصحيفة الحياة اللندنية المملوكة للسعودية فجأة من قبل الحكومة عقب تشكيكه بجهود الإصلاح الرسمية. ويشير كتاب مستقلون إلى شكبة من القيود الرسمية وغير الرسمية تمنعهم من تغطية قضايا اليوم الاجتماعية والسياسية المركزية.

وقد وجد تحقيق قامت به لجنة حماية الصحفيين أن ثمة ثلاث قوى عاملة على كبت التغطية الإخبارية كما يلي:

• يقوم المسؤولون الحكوميون بتسريح المحررين وإيقاف الكتاب المعارضين عن الكتابة أو وضعهم على اللائحة السوداء، ويقومون بإصدار أوامر التعتيم الإعلامي بشأن موضوعات خلافية، ويحذرون الكتاب المستقلين على كتاباتهم لمنع أية انتقادات غير مرغوبة أو لاسترضاء الدوائر الدينية.

• تعمل المؤسسة الدينية المحافظة في السعودية كقوة ضغط سياسي قوية

ضد التغطية الشجاعة للشؤون الاجتماعية والثقافية والدينية. ويشتمل القطاع الديني متعدد الطبقات على رجال دين رسميين وعلماء دين وشرطة دينية ووعاظ متطرفون من الداعين إلى إحياء روح الدين وأتباع لهم.

• يقوم رؤساء التحرير المطيعون الذين توافق عليهم الحكومة بإسكات الأنباء المثيرة للجدل، ويذعنون للضغوط الرسمية من أجل تلطيف لهجة التغطية وإسكات الأصوات المنتقدة.

وتوصل تحليل لجنة حماية الصحفيين إلى أن التغطية الإخبارية المستقلة للنواحي السياسية لا زالت غائبة تقريباً عن الإعلام السعودي. فعلى الرغم من أن الصحف تنتقد أحياناً أداء الوزارات الحكومية أو المؤسسات العامة قليلة الشأن، إلا أن التغطية الانتقادية للعائلة المالكة والحكومات الأجنبية الصديقة والفساد المتفشي وسوء إدارة الدولة للشؤون السياسية والاقتصادية والانقسامات الإقليمية وتوزيع عائدات النفط فتظل قضايا خارج نطاق الممكن. كذلك تعتبر النقاشات بشأن مواقف السياسة الخارجية الهامة وشواغل الأقلية الشيعية المحرومة من الحقوق، من الموضوعات المحظورة.

إلا أن أشد معارك حرية الصحافة ضراوة هي تلك التي تُخاض حول تغطية القضايا الدينية. لقد عمد أكثر الصحفيين السعوديين شجاعة إلى تحدي ما يرونه احتكاراً للمجتمع السعودي من قبل أعضاء متشددين في المؤسسة الدينية الذين يروجون للمواقف المتطرفة. تظل تغطية هؤلاء الصحفيين مقيدة تقيدا شديدا، بسبب الضغط الهائل الذي يبذله رجال الدين والوعاظ والنشطاء وحلفاؤهم في الحكومة.

في قلب هذا التوتر يقع التحالف القائم منذ أجيال بين عائلة آل سعود الحاكمة وأتباع رجل الدين من القرن الثامن عشر، محمد بن عبد الوهاب، الذي تمثل تعاليمه الصارمة أساس العقيدة الوهابية الرسمية للبلاد. وتواصل المملكة العربية السعودية الحديثة، التي تأسست عام ١٩٣٢، التقيد بالصفقة السياسية التي صيغت قبل قرون، إذ يدير آل سعود السلطة السياسية ويضمنون الأمن، ويحافظون على الشخصية الإسلامية للبلاد، في حين يوفر رجال الدين الوهابيون السلطة الدينية ويضفون الشرعية على حكم آل سعود. وفي الواقع العملي أدت هذه المقايضة إلى حالة تبدل دائمة لحرية الصحافة. وحتى عندما تكون الحكومة ميالة إلى السماح بقدر أكبر من النقد في الصحافة كانت تسارع إلى استيعاب مخاوف الدوائر الدينية.

لذلك يحمل السعوديون اليوم نقاشاتهم الأشد صراحة حول الدين والسياسة إلى مطبوعات غير سعودية أو منابر أخرى. إن النقاشات الصريحة التي يخوضها السعوديون في بيوتهم أو في التجمعات المعروفة باسم الديوانيات أو في المقاهي أو محطات التلفزة الفضائية أو في الإنترنت هي مؤشرات أفضل بكثير على النقاش الذي تخوضه البلاد من تلك التي توجد عادة في صحف التيار السائد.

أجرت لجنة حماية الصحفيين أثناء إعداد هذا التقرير لقاءات مع أكثر من ٨٠ مراسلاً وكاتباً ورئيس تحرير ومثقفاً في الرياض وجدة والظهران والدمام والقطيف، والتقت بمسؤولين من وزارتي الإعلام والداخلية خلال مهمتين لها لتقصي الحقائق في تموز/يوليو عام ٢٠٠٥ وفي شباط/فبراير من العام الجاري. ويعتقد الكثير من الصحفيين السعوديين ذوي العقلية الإصلاحية بأنه يمكن القيام بقدر أكبر بكثير من العمل لكي تعكس وسائل الإعلام الوطنية النقاش الصريح والأصوات المتنوعة. وهم يحاججون بأن الإصلاحات الخاصة بالصحافة تصب في مصلحة البلاد على المدى الطويل، وذلك كوسيلة لمواجهة القضايا الداخلية الخطيرة كالفقر والفساد وكوسيلة لتهميش التطرف الديني العنيف.

على الرغم من أن الصحف مملوكة للقطاع الخاص إلا أن الدولة تمارس تأثيراً هائلاً على ما يتم نشره. إذ توافق الحكومة على تعيين رؤساء التحرير، وهي عملية يقول الصحفيون إنها تتم خلف أبواب مغلقة بإشراف من الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية القوي. وفي الواقع العملي —ولكن ليس بموجب القانون– تحتاج الصحف إلى الدعم المالي



Recommendations to the Saudi government | Print-friendly version | النسخة العربية

Posted May 9, 2006

RIYADH, Saudi Arabia

Ahmed Faheed, a 33-year-old newspaper editor, wears faded jeans, a wrinkled T-shirt, and an ever-ringing cell phone. But more than his gear is out of place in a downtown cafe in Saudi Arabia's austere capital city. Tucked under his arm are issues of his tabloid daily *Shams*, where splashed across the front page is an eye-catching color photo of a young, unveiled woman proudly showing off a tongue ring. The accompanying story warns of the health risks for Saudi youths who get their bodies pierced secretly and without professional supervision.

Since its launch in mid-2005, the paper has pushed the boundaries of social and cultural news coverage in the Arab world's most religiously conservative society. Owned in part by Prince Turki bin Khaled, *Shams* has targeted Saudi Arabia's 18-32 demographic and, despite a modest daily circulation of 40,000, the newspaper has been a hit. "We actually like *Shams*," said the country's information minister, Iyad Madani. "It was the only one that woke up to the notion that we have a young population."


In the capital, Riyadh, the Kingdom Tower dominates an otherwise austere landscape.

Shams also woke up the country's hard-line

والسياسي لأحد أفراد العائلة المالكة. وعلى العكس من أجزاء أخرى من هذه المنطقة، لا توجد "صحافة معارضة" في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن بعض كتاب الأعمدة الصحفية انتقدوا وزراء من المستوى الأقل شأناً وموظفين حكوميين أو مؤسسات الصحة العامة، إلا أن التغطية الصحفية تخلو من أي شيء ينعكس سلباً على العائلة المالكة والمسؤولين رفيعي المستوى ورجال الدين والمؤسسات الدينية في البلاد.

ينظر كبار رؤساء التحرير ومعظم الصحفيين إلى أنفسهم على أنهم مدافعون عن عائلة آل سعود الحاكمة ويكفل المسؤولون الحكوميون الولاء بممارسة الضغط خلف الكواليس حيث يقومون بإصدار التوجيهات بشأن الأخبار الحساسة ويمنعون تغطية موضوعات معينة ويتخذون الإجراءات التأديبية بحق الصحفيين. أظهر البحث الذي أجرته لجنة حماية الصحفيين أن عشرات المحررين والكتاب والأكاديميين وغيرهم من النقاد الإعلاميين تم إيقافهم مؤقتاً عن الكتابة أو فصلهم من أعمالهم أو منعوا من الظهور في الصحافة السعودية خلال العقد الماضي. وقد جاءت هذه الإجراءات بناء على أوامر من الحكومة أو تدخل من الزعماء الدينيين أو بمبادرة من رؤساء التحرير. كما تعرض صحفيون آخرون للاعتقال، والاستجواب من قبل السلطات الأمنية، والمنع من السفر.

وعلى الرغم من القيود الرهيبة، تحسنت البيئة الإعلامية السعودية منذ تسعينيات القرن الماضي بصورة لافتة. ويقول الصحفيون منوهين إلى تأثير المحطات الفضائية والإنترنت إن وسائل الإعلام خضعت لعملية تحرر تدريجية منذ حرب الخليج عام ١٩٩٠–٩١، وهو الوقت الذي أخفقت فيه الصحافة السعودية —على نحو فاضح– في نقل أخبار اجتياح صدام حسين للكويت. إلا أن أكثر التغيرات أهمية حصلت بعد ١١ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١. واستجابة منها للنقاد الدوليين الذين ربطوا الإرهاب السعودي بالافتقار إلى الحريات الأساسية في المملكة، خففت الحكومة من القيود المفروضة على الصحافة المحلية وبدأت الصحف بالتطرق للمشكلات الاجتماعية والتطرف الديني.

وحدث منعطف مفصلي آخر في آذار/مارس عام ٢٠٠٢ عندما اندلعت النيران في مدرسة للبنات في مدينة مكة المقدسة مما أدى إلى مقتل ١٥ طالبة. وأظهرت الصحف تحدياً غير مسبوق عندما طفت على السطح ادعاءات بأن الشرطة الدينية مهيبة الجانب —أو المطوعين– قامت بتأخير عمليات الإنقاذ لأن البنات داخل المبنى الذي تشب فيه النيران لم يكن يرتدين العباءة السوداء الإجبارية. فقد قيل عن المطوعين الذي يستخدمون اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صحيفة عكاظ إنهم "يمنعون الحياة وينشرون الموت". أما صحيفة الرياض كبرى الصحف السعودية صرحت بأن الحريق أظهر المواقف المجحفة بحق

النساء. وفي النهاية أزاحت الحكومة رجل الدين المسؤول عن تعليم البنات ونقلت عملية الإشراف إلى وزارة التربية.

وفي الوقت نفسه تقريباً كان هناك كتّابٌ يختبرون حدود ما يمكن نشره. فقد أدهش الشاعر عبد المحسن حليت مسلم زملاءه عندما كتب قصيدة لصحيفة المدينة اتهم فيها قضاء الدولة الذي يهيمن عليه رجال الدين بالفساد. وتقول بعض أجزاء القصيدة "... ولحاكم ملطخة بالدماء ... وتداجون ألف طاغ وطاغ وله وحده يكون الولاء". واتهمت القصيدة القضاة بعدم الاهتمام لأي شيء سوى حساباتهم في البنوك ومكانتهم لدى الحكام.

تبين التغطيات أنها أكثر مما تحتمله السلطات وتم في الأسابيع اللاحقة إبلاغ الصحف بوقف الكتابة عن حريق مكة. وتم صرف المحرر المسؤول (في الصحيفة التي كتب فيها) مُسَلّم وقيل أن ذلك تم بأمر من وزير الداخلية. أما مُسلّم نفسه فقد اعتُقل ومُنع من الكتابة في الصحف السعودية. وتم تسريح محررين آخرين من الخدمة في الأشهر التالية بمن فيهم قينان الغامدي رئيس تحرير صحيفة االوطن المتهور الذي تم طرده عقب تقرير وصف الظروف المعيشية السيئة التي يعاني منها جنود وزارة الداخلية الذين يتم نشرهم في مكة في موسم الحج السنوي.

عادت التغطية الإخبارية الناقدة إلى الظهور بعد سنة من ذلك، عندما هاجم انتحاريون عدة منشآت غربية في الرياض في ١٢ أيار/مايو عام ٢٠٠٣، مودياً بحياة ما يزيد عن عشرين شخصاً ومشيراً إلى خطر إرهابي داخلي. وقد فجر هذا الحدث جدلاً غير مسبوق في الصحف حول جذور التطرف.

لقد شهد عادل الطريفي وهو كاتب عمود صحفي في صحيفة الوطن التغيير يحدث بين عشية وضحاها. فقبل التفجيرات بيوم واحد أوقف رئيس التحرير نشر مقالة للطريف فيها تبصر بما هو آت، حذر (الطريفي) فيها من خطر المتعصبين المتدينين الذين يعملون علناً في المملكة. وقد ناقشت المقالة بعنوان "حتى لا تكون منهاتن سعودية" التهديد الإرهابي الذي يلوح للعيان في السعودية وقالت إن شيوخ الدين يشعلون نيران التوتر ويروجون تفسيرات متطرفة للإسلام. وانتهى المطاف بالمقالة في مكان بارز من صفحة رأي الوطن بعد يومين من التفجيرات. ويقول الطريفي "لقد عرف المحرر المسؤول أنه يمكن نشر المقالة وأنني لن أعاقب على كتابتها".

وفي الأشهر التالية كتب عادل الطريفي وغيره من الكتاب السعوديين مقالات جريئة حول التطرف انتقدوا فيها الحكومة من طرف خفي بسبب التسامح مع المتعصبين الإسلاميين. وبحثت الصحف في الكيفية التي استغل فيها المتطرفون نظام التعليم لتشريب الشباب بأفكارهم. وأمعن المعلقون البحث في القيود التي تفرضها الوهابية على النساء وما أسموه بعدم تسامح المتشددين تجاه معتقدات الأديان الأخرى.

ويقول عادل الطريفي "لقد بلغ بي الأمر إلى الكتابة بأن المؤسسة الدينية تستمر في كونها عقبة في طريق الحرب على الإرهاب". وظهر التعليق الأكثر جرأة في صحيفة الوطن —وكانت آنذاك صحيفة جديدة نسبياً يمتلك جزءاً منها الأمير السعودي الليبرالي بندر بن خالد. إذ كتب رئيس تحرير الصحيفة المعيَّن حديثاً، جمال خاشقجي، في اليوم التالي للتفجيرات قال فيه: "إن الذي ارتكب جريمة الأمس التي سيكون لها تأثير مؤلم على الطبيعة المسالمة لبلدنا ليس الإرهابيون الانتحاريون فقط، بل وكل من حرض على تلك الهجمات وبررها ... وحتى كل من لزم الصمت إزاء هذا الاتجاه الذي ينحرف عن ديننا وطبيعتنا". كما ونشرت صحيفة الوطن كاريكاتيرات استفزازية تصور رجال دين سعوديين يتسامحون مع الأعمال الإرهابية. إلا أن أكثر مقالاتها جرأة ظهر بعد أيام فقط من تفجيرات أيار/مايو وقال إن مردَّ العنف يعود إلى ابن تيمية رجل الدين المسلم من القرن الرابع عشر، وهو الذي أرست تعاليمه المتزمتة الأساس للعقيدة الوهابية. وقالت المقالة إن المتطرفين استخدموا تلك التعاليم لتبرير الهجمات العنيفة.

إلا أن التوسع في حرية الصحافة كان قصير الأجل مرة أخرى، وتم


منصور النقيدان والهجرة الى حيث الحرية

تسريح بعض المحررين والكتاب من أعمالهم تحت ضغوطات من الحكومة. وكان جمال خاشقجي رئيس تحرير صحيفة الوطن أبرز الضحايا فقد أجبر على التنحي بأمر من ولي العهد آنذاك الأمير عبدالله. ووبخ الأمير نايف وزير الداخلية رؤساء التحرير على مقالات انتقدت الوهابية، ونبَّه عملاء الحكومة على مدار عدة أشهر رؤساء التحرير والكتاب إلى ضرورة الابتعاد عن المحرمات الدينية والمؤسسة الدينية والإصلاحات التي تجري مناقشتها من قبل المثقفين. كما أدى اعتقال ثلاثة من الإصلاحيين السياسيين البارزين في آذار/مارس ٢٠٠٤ ألى مزيد من إخماد حماسة الصحفيين لتحدي الوضع الراهن.

وتراجعت التغطية الإخبارية تدريجياً ولم تتعافى من ذلك حتى الآن، مما خلف شعوراً بخيبة الأمل والريبة لدى الكثير من الكتاب الليبراليين بمدى التزام الحكومة بإصلاح وسائل الإعلام. ويعتقد بعض الصحفيين أن الحكومة التي كانت تتهددها أخطار القاعدة بعد أيار/مايو ٢٠٠٣ استخدمت الصحافة لإضعاف العناصر الدينية المتشددة خلال تلك الفترة فقط لإعادة إحكام سيطرتها حالما أصبحت لها اليد العليا على الإرهابيين.

حسين شبكشي كاتب عمود سابق في صحيفة عكاظ يتخيل دولة تكون الحكومة فيها مسؤولة أمام الشعب والمواطنون يستطيعون التصويت في الانتخابات والنساء يستطعن قيادة السيارات. وعندما وضع حسين شبكشي هذه الرؤى في مقالة كتبها في تموز/يوليو عام ٢٠٠٣ أثار ردوداً شعبية كبيرة اشتملت على شكاوى ممن دعاهم "جماعات قبلية ودينية". وتم وضعه على اللائحة السوداء للصحافة السعودية طيلة السنة التي تلت ذلك وتم إلغاء برنامجه الحواري الذي كان قد أطلق حديثاً على محطة "العربية: الفضائية التي تملكها السعودية. وقد أبلغه المحرر المسؤول أنه تم منعه من الكتابة ولكنه لم يقل له لماذا ومن قبل من.

وقال حسين شبكشي في مقابلة أُجريت في جدة الميناء السعودي على البحر الأحمر "كان الحظر بشعاً للغاية إذ لم أتمكن من الكتابة في أي مكان"، وقال "لقد علمني ذلك كيف تُدار الأمور في هذا البلد". وتمثل هذه الحالة الضغوطات التي تمارس وراء الكواليس على الصحفيين السعوديين الذين يتكلمون بصراحة. ولم يتم الإعلان عن الحظر المفروض على الشويشكي مطلقاً ولم تكن هناك أية وثيقة شاهدها هذا الصحفي يوماً. ويقول صحفيون إنه على الرغم من أن الكثير من عمليات الحظر تُفرض بواسطة فاكس من وزارة الداخلية تتم عمليات حظر أخرى ببساطة عن طريق مكالمات هاتفية من مسؤولين دينيين أو سياسيين.

في لقاء له مع لجنة حماية الصحفيين تم في شباط/فبراير أقر وزير الإعلام إياد المدني ونائبه صالح النملة بممارسة الحكومة لعملية الحظر. وأكد المدني على وجود حالة حظر واحدة على الأقل وهي المفروضة على الشاعر مسلّم ولكنه لم يفصح عن أية تفاصيل. وقال صالح النملة إن الحظر يُفرض عندما يشكو المواطنون إلى الملك أو كبار المسؤولين وأن

الهدف من تلك الإجراءات هو المحافظة على المجتمع التقليدي المحافظ للبلاد.

وقال صالح النملة إن "غايتي وهمي الرئيسي هو ألا يقوم الصحفيون بإفساد البنية المحافظة". وقال "إذا تشاجر الأطفال فيما بينهم فإنك تقول لهم اذهبوا إلى الغرفة. وللكاتب تقول رجاءً لا تكتب. إنها طريقة لتهدئة الأمور". وقال صالح النملة إنه لا يعلم عن أي صحفي تم منعه من الكتابة بصورة دائمة.

لقد مضت حوالي ثلاث سنوات – على أية حال – منذ أن كتبت فيها الكاتبة وجيهة الحويدر آخر مرة في صحيفة سعودية. وكانت الحويدر – وهي مُدرسة سابقة تقوم بإعداد مناهج التعليم في شركة أرامكو السعودية للبترول التي تديرها الدولة – قد بدأت بكتابة مقالات رأي منذ عدة سنوات ولكن في عام ٢٠٠٣ توقفت الصحف السعودية بصورة مفاجئة عن نشر مقالاتها. وقالت وجيهة الحويدر في مقابلة أُجريت معها في مجمع أرامكو الممتد في الظهران الواقعة في المنطقة الشرقية الغنية بالنفط من البلاد "لقد علمت بذلك أثناء أجازتي حيث قال لي أصدقاء 'علمنا أنه تم منعك من الكتابة.' وقالت إن المحررين في صحيفتي الوطن و "أراب نيوز" أبلغوها إنهم تلقوا فاكساً من وزارة الإعلام تأمرهم بالتوقف عن نشر مقالاتها.

وقد تعرضت وجيهة الحويدر لحقوق المرأة والتمييز الجنسي في المجتمع السعودي والأمراض الاجتماعية وهي موضوعات من المحتمل أنها أغضبت حساسيات تقليدية. إلا أن منعها من الكتابة أثارته مقالة كتبتها في أيار/مايو ٢٠٠٣ والتي تحدثت عن الفتى السعودي الذي قام بأخذ صور لكدمات على جسده بقصد مقاضاة والده في االنهاية. وكتبت الحويدر تقول إن الأب لم يُعاقب.


رباح القويعي آخر الصحافيين المعتقلين

وقالت وجيهة الحويدر إنه "عندما يقرر أحدٌ ما أن هذا الشخص ينبغي أن يتوقف عن الكتابة فإنهم لا يبلغونه". وقالت "لقد سمعت دائماً (عن المنع من الكتابة) من أشخاص آخرين، أما وزراة الإعلام فتصرفت كما لو كانت لا تعرف عن الأمر". وتقول الحويدر إن وزارة الإعلام اتصلت بها الصيف الماضي وعرضت رفع الحظر عنها إذا ما سافرت للخارج كسفيرة للنوايا الحسنة وتحدثت عن نواحي التقدم في حقوق المرأة في العربية السعودية. ولكنها رفضت. وعندما سُئل إياد المدني وصالح النملة عن قضية الحويدر قالا إنهما فهما أن الحويدر هي التي قررت التوقف عن الكتابة. وقال إياد المدني إنه لم تُعرض على الكاتبة أية صفقة.

وعلى مر السنين تعرض العشرات من الكتاب للمنع من الكتابة لفترات تتراوح من بضعة أيام إلى فترات غير محددة، فقد تم على سبيل المثال وضع حسن المالكي وهو عالم ديني على القائمة السوداء بصورة دائمة لتشككه بالوهابية.

ويعد المنع من الكتابة أحدى طرق السيطرة. فالسلطات تزود المحررين بالقواعد العامة لكيفية تغطية الأخبار الحساسة ومتى يجب فرض التعتيم وما الذي يجب مراقبته. في تشرين أول/نوفمبر أمرت الحكومة رؤساء التحرير بعدم تغطية قضية محمد الحربي وهو مدرس كيمياء في المدرسة الثانوية من القصيم تمت مضايقته بقسوة من قبل زملائه الإسلاميين الذين اعترضوا على تشجيعه للتفسير الديني النقدي. وقد تم حبس الحربي الذي وُجهت إليه تهم التجديف ٤٠ شهراً وجلده ٧٥٠ جلدة قبل أن يتم العفو عنه من قبل الملك عبدالله. واعترف إياد المدني بوقف تغطية القصة لتجنب وقوع "انقسامات" في المجتمع السعودي.

ويقول الصحفيون إن وزارة الإعلام كثيراً ما تتصرف بإمرة شخصيات سياسية ودينية أكثر قوة. ويقولون إن وزارة الداخلية تمثل القوة الرئيسية في فرض القيود على الصحافة بالرغم من أن الناطق الرسمي باسم الوزارة الفريق منصور التركي قال إنه لا دوراً رسمياً لها. وصرح الفريق منصور التركي للجنة حماية الصحفيين في الرياض بأن " وزارة الداخلية ليست هي من يصنع قرار منع الصحفي من الكتابة". ولكن يُنظر إلى الوزارة على أنها متحالفة مع القوى الدينية المتشددة ويُعتقد على نطاق واسع أنها وراء الكثير من حالات منع الصحفيين. حيث تقوم قوات الأمن التابعة لها –والمعروفة باسم المباحث– بمراقبة التغطيات الصحفية وفرض رقابة شديدة على الكتاب في كل مدينة من المدن الرئيسية، على حد قول صحفيين. وذكر العديد من الصحفيين للجنة حماية الصحفيين بأن وزارة الداخلية نشطت بصورة خاصة في السنين الثلاث الماضية حيث يقوم عملاؤها بإقناع عدد من الصحفيين بتوقيع تعهد سري خطي بالامتناع عن توجيه انتقادات معينة أو عن الكتابة إطلاقاً.

ويقول منصور النقيدان وهو متطرف ديني سابق تحول إلى منتقد للتطرف يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر ويكتب في صحيفة الرياض إنه استُدعي إلى فندق خمس نجوم في الرياض لكي يتم استجوابه من قبل عملاء المخابرات بعد كتابته لمقالة رأي في صحيفة "نيويورك تايمز". وقالت المقالة التي نُشرت في تشرين أول/نوفمبر عام ٢٠٠٣ إن البلد "يعيق تقدمه تطرف إسلامي عميق الجذور في معظم المدارس والمساجد التي أصبحت تربة صالحة لتفريخ الإرهابيين" وإن الإرهاب سيستمر "طالما أنه مستوطن في مؤسساتنا التربوية والدينية". وقد اتصل به عملاء (الدولة) بعد أيام باعثين بالرسالة البليغة التي مفادها أن كتاباته "أساءت للدولة". ثم تم اعتقاله مدة خمسة أيام من قبل المباحث وامتنع رؤساء التحرير في صحيفة الرياض عن نشر كتاباته لعدة أشهر.

إن العلاقة بين آل سعود ورجال الدين في البلاد مبنية على المقايضات والتوازن السياسي. ولكن خلال العقود الثلاثة الماضية منحت السلطات السعودية المؤسسة الدينية تأثيراً متزايداً كوسيلة لاسترضاء الإسلاميين المتشددين. وحاليا فإن أكثر الكتابات الصحفية السعودية جرأة ليست التي تنتقد السياسة أو العائلة المالكة بل تلك التي تنتقد القوة المتزايدة للممارسات الوهابية المحافظة التي يقول عنها الكتّاب إنها تضطهد النساء وتنمي عدم التسامح الديني وتشجع الإرهاب.

ويظهر البحث الذي أجرته لجنة حماية الصحفيين أن رجال الدين المحافظين والنشطاء الإسلاميين واجهوا مثل هذا النقد بالهجوم على وسائل الإعلام هجوماً قاسياً في خطبهم وعلى الإنترنت، وكذلك عن طريق الضغط المتواصل على مديري الأخبار. وعندما تذهب التغطية الصحفية إلى ما هو أبعد من اللزوم، يصبحوا عدائيين في الضغط على رؤساء التحرير أو في حض الحكومة على اتخاذ إجراءات صارمة.

ويرى أحد رجال الدين أن الصحافة تفرض على المجتمع السعودي رؤى غير مرحب بها وأنه ينبغي ألا يُسمح لها بتخطي الخطوط القانونية والدينية المحددة تحديداً واضحاً. وقال رجل الدين البارز سعد البريك للجنة حماية الصحفيين إن "الصحفيين الليبراليين في هذا البلد ينشرون صورة خادعة بأنهم مضطهدين". وقال إن بعض الصحف تمارس "نوعاً من الطغيان" الخاص بها عن طريق الترويج لآراء تتناقض مع الدستور والقرآن والأعراف الإسلامية.

وقال البريك إن "على كل شخص أن يتذكر أن هناك خطٌ بين ما يقولة الدستور والسلطات الدينية من جانب وبين القضايا الخاضعة للجدل العقلي من جانب آخر"، وقال " وهذا الخط ينبغي"ألا يتم تجاوزه".

وينوه الصحفيون إلى إفراط المتشددين في تصميمهم على حماية تلك الخطوط. فخلال معرض للكتاب عُقد في الرياض في شباط/فبراير أوقع إسلاميون الفوضى في مناقشة عامة حول الرقابة كان يشارك فيها رئيس تحرير صحيفة الرياض تركي السديري وهو من كبار مؤيدي الحكومة والذي نشرت صحيفته انتقادات للمتطرفين الإسلاميين. وكان من بين المشاركين أيضاً وزير الإعلام السابق محمد عبدو يماني وكتاب آخرون من منتقدي المتشددين الدينيين. وقام رجال من الحضور بالصراخ على المشاركين في الندوة واتهموهم بأنهم يحيدون عن الإسلام، وألحوا على أنه ستتم محاكمتهم في المحاكم الدينية بسبب سيساساتهم الليبرالية. وأحاط النشطاء بأعضاء الهيئة المشاركة وعاملوا أحد الصحفيين على الأقل بخشونة.

وقال جمال خاشقجي رئيس التحرير السابق للوطن "إن الأمر شبيه بالمكارثية في الخمسينيات" مشبهاً إياه بأجواء الحملة المضادة للشيوعيين من قبل السناتور الأمريكي جوزف مكارثي ووضع الكتاب الأمريكيين على القائمة السوداء.

ويقول سلطان القحطاني — وهو محرر في الموقع الإخباري السعودي المشهور "إيلاف" ويقيم في الرياض– إن رجال الدين السعوديين تعرضوا بالاستنكار لموقع إيلاف بالاسم في صلوات الجمعة كما أن المحافظين المتدينين أدانوه في رسائل إلكترونية (إيميل). وقال القحطاني "نحن نطالب بمزيد من الانفتاح في المجتمع، ونطالب بحقوق المرأة وبهامش أكبر من حرية الصحافة. أما المتدينون فإنهم يحاولون العودة قروناً إلى الوراء، وهذا يغضبهم كثيراً".

في كانون أول/ديسمبر قام رقباء المواقع السعوديون بمنع الوصول إلى موقع إيلاف في المملكة بعد أن طبع الموقع (بطريق الصدفة حسب القحطاني) تعليقاً مرسلاً بالبريد الإلكتروني يشير إلى علاقات جنسية للنبي محمد. ويقول القحطاني "ولكن هذا ليس السبب الوحيد لملاحقتهم لموقع إيلاف ". وقال إن "الكثير من رجال الدين يرفعون شكاوى إلى الملك ووزارة الإعلام بشأن موقع إيلاف ".

وفي بعض الحالات تلقى الكتاب تهديدات بالقتل عبر الإنترنت معظمها مجهولة الاسم وتم إدراجها على مواقع إسلامية. يقول حمزة المزيني أستاذ اللغويات في جامعة الملك سعود والذي تلقى العديد من التهديدات بالقتل لانتقاده المتشددين المتدينين "أتلقى مكالمات هاتفية وإهانات ولغة بذيئة". ويقول "إنهم لا يهاجمون قضية بل يهاجمونك شخصياً. وهذا يجعل الناس يفكرون مرتين وثلاثة قبل أن يكتبوا. إنهم قساة وعديمو المبدأ وقد يستخدمون لغة غير سائغة ضدك وضد عائلتك".

وقد أغاظت كتابات حمزة المزيني المتطرفين كثيراً بحيث أنهم أقاموا عام ٢٠٠٥ قضية قانونية استثنائية ضد هذا الصحفي في المحكمة الشرعية الإسلامية التي ليس لديها سلطان قضائي رسمي على الشؤون الصحفية والتي يتم فيها إيقاع عقوبات قاسية من بينها الجلد. وقد تم تسجيل الدعوى من قبل أستاذ إسلامي يدعى عبدالله براك اتهم المزيني بالقذف بعد أم تبادل الاثنان سلسلة من التعليقات في الصحف السعودية. وقد بدأت المجادلة عندما كتب المزيني مقالة في صحيفة الوطن تنتقد بعنف وجود الإسلاميين المتشددين في الجامعات السعودية الذين يحرمون الموسيقى والرقص وتعليم الإناث من قبل أساتذة ذكور.

وفي النهاية تمت إدانة حمزة المزيني وحُكم عليه بمائة جلدة والحبس شهرين في السجن. وعندما قال للقاضي بتحدٍ إن قراره لن ينفذ قام القاضي على الفور بمضاعفة الحكم. وابلغت مصادر لجنة حماية الصحفيين أن ذلك أثار سخطا شديدا لدى(الملك) عبدالله، وكان قد أصدر من قبل مرسوماً بإيقاف الدعوى وإلغاء الحكم على المزيني وإسقاط أحكام عديدة أخرى مماثلة.

ويقول صحفيون إن تدخل الملك كان مهماً جداً ولكن الحكومة السعودية لا تتوسط نيابة عن الصحفيين ضد المؤسسة الدينية. وفي الوقت الذي يقر فيه الصحفيون الحاجة إلى الحكومة كي تقيم توازناً بين المحافظين المتدينين والليبراليين إلا أنهم يلقون باللائمة على وزارة الداخلية ومسؤولين آخرين لخضوعهم لاحتجاجات القادة المتدينين بسهولة كبيرة.



جمال خاشقجي: أقيل لاتهامه التيار السلفي بالإرهاب

ويقول القحطاني المحرر في موقع إيلاف إن "الحكومة تعمل على استرضاء المؤسسة الدينية" وإن "الحكومة تحتاج إلى استخدام تأثيرها لمواجهة المؤسسة الدينية من خلال التعليم والمؤسسات الاجتماعية الأخرى. ... لقد كان للمؤسسة الدينية الصوت الوحيد بشأن هذه القضايا طيلة القرون الماضية".

وعلى الرغم من اللائمة تقع على عاتق الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية فيما يتعلق بالقيود على الصحافة إلا أن المشكلة تكمن في المهنة كذلك، حيث يقول سليمان الهتلان وهو كاتب زاوية سابق في صحيفة الوطن ورئيس التحرير الحالي لصحيفة " فوربس أريبيا" بدبي إن "رؤساء التحرير جزء من المشكلة" وإنهم "أنشأوا مدرسة صحافة لا تسمح بالنقد".

ويرسم الكتاب السعوديون صورة غير ممالئة لكبار رؤساء التحرير في البلاد يصفونهم فيها بأنهم موالون للحكومة وأنهم احتفظوا بمناصبهم سنوات طويلة وإنه ليس لديهم استعداد لتعريض امتيازات مناصبهم للخطر بتحدي السلطة. كما أن رؤساء التحرير يسارعون إلى إيقاف الكتاب المنتقدين ووقف نشر المقالات المشاكسة.

وفي معرض إبرازهم لإخفاق الصحف اليومية الرئيسية في الارتقاء إلى مستوى إمكاناتها الكامنة يُجري الكثير من الصحفيين المقارنات مع وسائل الإعلام السعودية الجديدة مثل صحيفة الوطن والصحف اليومية اللندنية المملوكة سعودياً كالحياة والشرق الأوسط والموقع الإخباري على الإنترنت إيلاف . فعن طريق التشديد على التغطيات الصحفية الشابة والمتبصرة تمكنت كل من هذه الصحف من توسيع حدود المسوح به.

حتى المسؤولون الحكوميون ينتقدون الافتقار إلى الحماسة في صحافة التيار السائد. ويقول وزير الإعلام، إياد المدني، إن "بعض رؤساء التحرير يحتلون مناصبهم منذ فترة أطول من اللازم ولكننا لا نستطيع عمل شيء إزاء ذلك"، وقال "لو كان الأمر بيدي لقمت بتغييرهم غداً، فأنا أعتقد أن هذه الصحف بحاجة إلى دماء شابة".

وكان رؤساء تحرير كبريات الصحف في لقائهم مع لجنة حماية الصحفيين مراعين لرغبات المسؤولين الحكوميين وسارعوا إلى التقليل من شأن القيود. فقد رسم الجميع تقريباً صورة إيجابية للبيئة الصحفية في البلاد على الرغم من بعض الخلافات مع المؤسسة الدينية. إذ قال تركي السديري رئيس تحرير صحيفة الرياض "لقد حدثت تغييرات كثيرة في الصحافة"، وقال "في السابق كان من الصعب الكتابة عن الجماعات الدينية ولكننا الآن نكتب عنها".

إلا أن تركي السديري أكد على ضرورة احترام الصحافة للبنية المحافظة للبلد، وحذر من الحرية "المطلقة" وقال إن الحفاظ على الأمن والوحدة الوطنيين يمثل المسؤولية الرئيسية للصحافة". وقال إن "الصحافة في المملكة تمس الكثير من الجوانب المهمة للمواطنين ولكن يتوجب علينا معالجتها بطريقة تعود بالنفع على المصالح العليا للمواطن والمؤسسات".

ويترأس تركي السديري هيئة الصحفيين السعوديين التي تم تشكيلها في شباط/فبراير ٢٠٠٣ بموافقة الحكومة. وكانت الهيئة المؤلفة من

رؤساء تحرير كبريات الصحف في المملكة غير فاعلة بصورة كاملة تقريباً، ففي لقائها مع لجنة حماية الصحفيين أعلن رؤساء الهيئة باعتزاز أنهم لم يتلقوا ولا شكوى واحدة من الصحفيين السعوديين. وقال السديري عند سؤاله عما إذا كانت الهيئة ستحشد التأييد لزملاء تم منعهم من الكتابة من قبل الحكومة إنه ينبغي معالجة مثل هذه الأمور من قبل وزارة العمل.

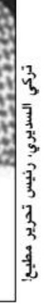
لا يعرف معظم أعضاء الوسط الصحفي سوى القليل عن أجندة الهيئة، كما أنهم غير متفائلين بأن تصبح يوماً قوة للتغيير. وحتى الوزير إياد المدني كان قاسياً في انتقاده لقادة الهيئة، إذ قال "بقدر ما يعنينا الأمر، فإنهم لم يفعلوا شيئاً". وأضاف، "إننا بانتظار أن يتحركوا وأن يقولوا نحن هنا، أو أن يفعلوا أي شيء".

عدا عن رؤساء التحرير، يقول الصحفيون إن الإعلام يعاني من غياب الحرفية ومن عجزه عن استقطاب أشخاص جيدي التدريب يرون في الصحافة مهنة نهائية. فغالباً ما يكون المحررون من المغتربين من مصر أو لبنان أو من شبه القارة الهندية وهم قد لا يدركون أهمية الخبر المحلي ولكن بوسعهم أن يكونوا بنفس قسوة رؤساء التحرير السعوديين بشأن منع نشر الموضوعات، حسب بعض الكتاب السعوديين. لقد عزز غياب التدريب المهني وكليات الصحافة مصحوباً بثقافة الرقابة الذاتية روح اللامبالاة عند الكثير من الصحفيين الشباب.

نظراً لكون العربية السعودية أكبر منتج للنفط في العالم ولديها ٢٥ بالمئة من الاحتياطي المعروف من البترول ولكونها دولة مواجهة في المعركة ضد تنظيم القاعدة فإنها ستظل مركز الاهتمام الدولي لبعض الوقت. ويخشى المحللون أن يواجه هذا البلد –الذي يعاني من البطالة والتفاوت الاقتصادي وخطر الإرهاب والفساد ووجود التطرف الديني– سيتعرض لحالة هيجان سياسي ما لم يسمح لمواطنيه بدور أكبر في كيفية حكم البلد.

لقد تحدث الملك عبدالله – وهو الحاكم الفعلي خلال السنوات العشر الماضية والذي تبوأ العرش بعد وفاة الملك المريض فهد بن عبد العزيز العام الماضي – عن الحاجة إلى إصلاح سياسي واجتماعي "تدريجي". وفي العام الماضي اتخذت السعودية خطوات صغيرة لفتح نظامها السياسي من قبيل إجراء الانتخابات البلدية الأولى في البلاد.





تركي السديري، رئيس تحرير مطبع!

إن طريق الإصلاح الطويل محفوف بالتحديات. إن لدى أفراد العائلة المالكة آراءً مختلفة بشأن الحاجة إلى التغيير. والمحافظون المتدينون كان لهم خلال العقود الأخيرة على الأقل اليد العليا على الإصلاحيين الليبراليين. وقد أرسلت الحكومة عام ٢٠٠٦ بالفعل رسائل مختلطة. فبعض كتاب الأعمدة الذين كانوا ممنوعين من الكتابة ذات يوم ظهروا من جديد على صفحات الصحف في الوقت الذي أغلقت فيه الحكومة موقعيين إخباريين على الإنترنت واعتقلت رباح القويعي الكاتب في صحيفة " شمس" بسبب "الإساءة للمعتقدات الإسلامية".

ويقول الصحفيون من أصحاب العقلية الإصلاحية إنه يجب أن يكون التغيير أسرع وأكثر جوهرية وأن يكون تغييراً دائماً. ويقولون إن التقدم الحقيقي يتطلب تعزيز قوة وسائل الإعلام بحيث تكون بمثابة منبر للنقاش الحر والمفتوح حول القضايا الهامة التي تواجهها المملكة السعودية. وقال الكاتب السعودي محمد محفوظ خلال تجمع في إحدى الديوانيات بمدينة القطيف بالمنطقة الشرقية، إن "بلدنا يواجه اليوم تحديات داخلية وخارجية يتوجب علينا التغلب عليها وإلا فستكون هناك موجة جديدة من العنف"، وقال إن "أول أبواب الإصلاح هو الصحافة المفتوحة".

توصيات

لجنة حماية الصحفيين تدعو حكومة المملكة العربية السعودية لتنفيذ التوصيات التالية الهادفة إلى مواءمة الممارسات المتعلقة بحرية الصحافة في البلاد مع المعايير الدولية:

* يجب التصريح علنا بأن الحكومة السعودية ملتزمة بموجب الأعراف الدولية لحرية التعبير، بأن تضمن حرية وسائل الإعلام والتعددية، بما في ذلك نشر أراء ووجهات نظر متنوعة تتضمن تلك التي تنتقد سياسات الحكومة.
* تشجيع الصحفيين على القيام بتحقيقات صحفية مستقلة (بما في ذلك التغطية الإخبارية الناقدة للأسرة المالكة، والحكومة، والمؤسسة الدينية)، وذلك من خلال إصدار ضمانات صريحة بأن السلطات لن تقوم بمعاقبة الصحفيين، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، بسبب قيامهم بنشاطات مهنية كهذه.
* إنهاء جميع أشكال التدخل الرسمي في العمل اليومي للصحف. وإلغاء كافة الأوامر التي تحظر نشر كتابات الصحفيين الناقدين. والتوقف عن تهديد الصحفيين وسجنهم بسبب كتاباتهم.
* تشجيع الاستقلال والتنوع في الصحافة المحلية. وإنهاء ممارسة الموافقة على تعيين رؤساء التحرير. وتيسير عملية الحصول على الترخيص اللازم لإصدار الصحف لجميع المواطنين، بصرف النظر ما إذا كانوا يتمتعون بدعم الأسرة المالكة أو الحكومة، أم لا.
* القيام بخطوات فورية لخصخصة وسائل البث الإعلامي، بقصد تشجيع الأخبار والآراء المستقلة في المحطات الإذاعية والتلفزيونية السعودية، بما في ذلك الآراء الناقدة للحكومة وسياساتها.
* إلغاء الرقابة على مواقع الإنترنت الإخبارية.

بسبب الدور الفريد الذي يؤديه رؤساء التحرير السعوديون، تطالب لجنة حماية الصحفيين من كبار رؤساء التحرير تنفيذ التوصيات التالية:

* تشجيع الصحفيين والكتاب على إجراء تغطية إخبارية مستقلة وكتابة مقالات الرأي بحرية، بما في ذلك التقارير الناقدة للحكومة.
* إلغاء العقوبات التأديبية، والفصل من العمل، والعقوبات الأخرى التي تفرض على الصحفيين بسبب عملهم النقدي.

لجنة حماية الصحفيين تحث هيئة الصحفيين السعودية على تطبيق الخطوات التالية:

* تأسيس لجنة دائمة تنشط في توثيق انتهاكات حرية وسائل الإعلام السعودية والإبلاغ عنها. يجب أن تتضمن هذه الانتهاكات حالات الصحفيين الذين يتعرضوا للسجن، أو الفصل من العمل، أو المنع من تنفيذ مهامهم المهنية بسبب كتاباتهم.
* تأسيس آلية لتمكين الصحفيين من رفع شكاوى إلى اللجنة، بحيث تقوم هيئة الصحفيين بنشاطات نيابة عنهم والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم بصفة فاعلة.

---

* أعد التقرير جويل كمبانا، وهو منسق برامج متقدم مسؤول عن قسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في لجنة حماية الصحفيين، وقد قام بزيارتين للمملكة أجرى خلالهما تحقيقات معمقة حيث قابل ما يزيد عن ٨٠ شخصا من الصحفيين والكتاب والمحررين في الرياض وجدة والظهران والدمام والقطيف، إضافة إلى مقابلات مع مسؤولين رسميين من وزارتي الداخلية والإعلام.

صرخات ألم هل يسمعها آل سعود ووهابيوهم؟

أوقفوا العبث الوهابي بتراث المسلمين في الحجاز

الآثار الإسلامية والأوثان!؟

عبد الله الجفري

أثارني – بحق – ما كتبه الأستاذ الدكتور زهير كتبي في «اتفاقه مع الذات» عموده اليومي بصحيفة «الندوة» عن «إجراء» بادر به مدير عام فرع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة مكة المكرمة، الذي «وجّه» فيه أمانة العاصمة المقدسة بضرورة: (إزالة السيراميك في مقبرة المعلاة مقابل قبر أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، ووصف القبر بأنه «منسوب» إلى السيدة في تشكيك منه، وأضاف: إن هذا العمل – وضع السيراميك – يضفي على المقبرة قدسية تجرُّ إلى البدع والشرك والتوسل بالأموات مما هو «ملاحظ» كما قال من البعض طيلة العام وفي الحج)!!


عبد الله الجفري

بخ.. بخ لهذا الشيخ الذي اتهم أهل مكة الآن بعبادة القبور، واتباع البدع والشرك.. وشكك في القبر «المنسوب» حسب رأيه لأم المؤمنين!!

وبعد... إلى متى ندور في هذه الحلقة المفرغة، وأخطار عديدة تحيط بالمسلمين من كل جانب، فيتكاثر أعداء الإسلام، ويبيننا المغالون، والمتجنُّون، والمشككون في إسلام أهل مكة المكرمة؟!

المطلوب من علماء مكة المكرمة وأركان أُسَرها العريقة: أن يتصدُّوا لمثل هذا الابتلاء الذي يستهدف العبث بآثار مكة المكرمة الإسلامية، كأن لم يكفهم ما هدم وطمر!

والسؤال: هل ما يقوم به هؤلاء من غلاة في إصدار أحكامهم، وفي تفسير التشريع، وفي اتهام الناس بـ«قلة عقلهم» إلى درجة عبادة القبور – الأحجار.. هو ضرب من المزايدة، أو وضع العالم الإسلامي في دائرة الشك في نضجه الديني إلى درجة اتهام المسلمين بعبادة الأحجار، وكأن في هذه التهم الجزاف: ضرباً مما يسمونها: «شيفونية» لدى الأيديولوجيين؟!

أليس لدى هؤلاء ذريعة لهدم ومحو آثار الإسلام في مكة المكرمة والمدينة المنورة سوى تهمة: عبادة الأحجار، حتى فقدنا: أهم وأكثر آثار الإسلام الأساسية؟!

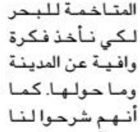
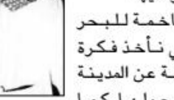
عكاظ – ٢٠٠٦/٥/١٠

* * *

الى متى يطمسون آثارنا؟

عمرو محمد الفيصل

.. الأخوة البدريون فرشوا لنا السجاد الأحمر، وبالغوا في آيات التكريم والترحيب، وجالوا بنا في مدينتهم وضواحيها المتاخمة للبحر لكي نأخذ فكرة وافية عن المدينة وما حولها. كما أنهم شرحوا لنا على أرض الواقع معركة بدر حتى كدنا نرى الجيشين وهما يتقاتلان أمامنا.



عمرو محمد الفيصل

على كل حال فأنا أنصحكم أيها الأخوة والأخوات أن تزوروا بدراً لكي تعيشوا يوماً من أهم أيام التاريخ الإسلامي. لكن هناك مشكلة حيث أنكم لن تتمكنوا من زيارة بدر بسهولة. ذلك لأنه لا توجد أي لافتات توجه الزائر الى بدر. فلا لوحة ولا إشارة طيلة الطريق تدلكم الى بدر!

(الناصفة) وهي قرية صغيرة تقطنها ناقتان وعنزة، لها إشارات ولوحات طول الطريق، أما بدر فهمس!

الأمر يمكن أن يفسر تفسيراً بريئاً لهذا التجاهل الذي يثير الريبة لولا شكوى أهل بدر من هذه المشكلة للجهات المعنية في وزارة النقل وعلى مدى سنوات طويلة دون جدوى.

الأمر إذا أكبر من مجرد سهو أو خطأ. وهذا يتضح جلياً إذا أخذنا بعين الإعتبار المجهودات التي تقوم بها بعض الجهات المتطوعة لطمس كل الآثار التاريخية للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في بلدنا الحبيب.

ففي بدر نفسها تمّ هدم سور كان يحيط بشهداء بدر حتى تضيع معالمه، وينسى الناس أين دُفن الصحابة الذين استشهدوا في تلك الموقعة. هذا فضلاً عن آثار التخريب الذي امتدّ الى مسجد العريش التاريخي والتي يمكن مشاهدتها على مدخل المسجد.

صحافتنا تعجّ بأخبار هؤلاء الذين أخذوا عهداً على أنفسهم لمحو كل أثر لنبينا عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام بحجة محاربة البدعة، فقبور صحابة تُنبش، ومساجد تاريخية تهدم، وحتى غار حراء لم يسلم من هؤلاء.

الى متى ستستمر هذه المواجهة مع ذاكرتنا البنائية والجغرافية؟

وعلى كل حال، في السابع عشر من رمضان القادم (ان الله أحياني) سأكون في بدر مع أصحابي البدريين وغيرهم لإحياء ذكرى هذه الموقعة التاريخية وسيرة نبينا الحبيب.

صحيفة المدينة ٢٠٠٦/٣/٥

* * *

هل هدم بيت الرسول الأعظم وتحويله الى مرافق عامة وحرق قبر أمه أقل إهانة له من الرسوم الكاريكاتيرية؟

د. علي الجواد

لقد قامت الدنيا وقعدت عندما تجاوزت صحيفة دنماركية على شخص الرسول الأعظم (ص) برسوم صورته بالأرهابي وغلي العالم الاسلامي لما حصل، واحرقنا سفارات وازهقت أرواح كثيرة كردة فعل لما حصل. ولم تتهاون الصحف العربية والاسلامية وفضائياتها بصب الزيت على النارولم نهدأ حتى هذه الساعة.

إهانة أخرى نالت من الرسول الأعظم وشملت أصحابه وأرحامه وآل بيته ولم تتجرأ أي من هذه الصحف والفضائيات على ذكرها باستثناء صحيفة القدس العربي الغراء التي ذكرت ما يحصل من اهانة لاثار نبينا العظيم في مكة والمدينة. ما يؤلم حقا أن بيت الرسول الأعظم وزوجته خديجة، هذا البيت الذي نزل فيه وحي النبوة أكثر من مرة تم هدمه وتحويله الى مراحيض عامة. كما تم هدم وحرق قبر أم الرسول الأعظم السيدة آمنه بنت وهب والذي تم

اكتشافه عام ١٩٩٨ وبالرغم من معارضة الكثير من المؤسسات والهيئات الاسلامية والأثرية ومطالبة السلطات السعودية للعدول عن ذلك دون جدوى.

كما ذكر الكاتب دانيال هاودن في الإندبندت كيف هدت الجرافات جوامع وبيوت الخلفاء الراشدين الأربعة وجامع علي العريضي ومقابر الصحابة في مكة ومقبرة البقيع في المدينة. وذكر الكاتب أيضا أن السلطات الدينية تنوي أيضا ردم غار حراء وتحويل مكتبة مكة الأثرية الى موقف عام للسيارات.

لم تتحرك صحفنا العربية ولا فضائياتنا التي تملأ السماء ضجيجا دفاعا عن الحق والحقوق للرد على هذه الاهانة التي شملت الرسول وفكر الرسول وآل وأصحاب الرسول! لقد قاطعنا الجبنة الدنماركية كرد فعل على الإهانة، فهل لدى صحافتنا العربية وفضائياتنا قرار بأن تقاطع دولارات البترول وتنتقد ما يجري في مكة والمدينة؟

ان تراثنا الاسلامي ليس ملكا أو حكرا لآل فلان أو آل علان، ولا يمكن لأي مذهب أو توجه ديني أن يأتي بعد ١٤٠٠ عام ويقرر ما اذا كان الاحتفاظ بآثار النبوة بدعة أو وثنية وأن وجود مكة والمدينة في المملكة لا يعطي الحق لآل سعود وأثريائهم ومن دار في هواهم أن يتطاولوا على الرسول والصحابة والاسلام ويمحوا ذكرهم.

القدس العربي ٢٠٠٦/٤/٢٩

* * *

هدم الآثار الإسلامية إرهاب فكري

عمرو محمد الفيصل

إن خيار المحافظة على الآثار الإسلامية الموجودة في بلدنا الحبيب أو هدمها وإزالتها بالكلية، خوفا من افتتان المسلمين بها وفساد عقيدتهم، أمر خلافي لم تجمع الأمة عليه حتى الآن. بل إن الأمر موضع خلاف حتى بين المسلمين داخل بلدنا. وحيث الأمر كذلك ففي رأيي لا يجوز التصرف بهدم وإزالة تلك المعالم حتى يتم نوع من الإجماع في الأمة حول هذا الموضوع خاصة أنه ينبغي علينا ألا ننسى أن هذه الآثار والمعالم ليست ملكنا وحدنا نتصرف بها كيفما شئنا وإنما هي عهدة وأمانة في أعناقنا وملك كل الأمة الإسلامية والتي نشكل نحن جزءاً منها.

لابد، في رأيي، من استصدار فتوى على مستوى مجمع الفقه الإسلامي أو منظمة المؤتمر الإسلامي حول هدم وإزالة الآثار الإسلامية سواء بالمملكة أو غيرها وخاصة التي تقع في مدينتي مكة والمدينة ولا بأس بعد ذلك في أن تمتد المعاول لتلك الآثار بالهدم كما يريد بعضنا. ولكن ولحين صدور مثل هذه الفتوى لابد لنا أن نكف من التصرفات الأحادية الجانب والتي قد يفسرها بعض الجهلاء بأنها تنم عن عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ومحاولة فرض رأي فقهي خاص على بقية أمة محمد.

هذا بالمناسبة اتهام قديم وجه لنا أكثر من مرة... المشكلة هي تصرفات بعض المتنطعين لدينا التي تدعم مثل هذه التهمة وتعطي أعداءنا الذخيرة الحية التي يهاجموننا بها. هذا فضلا عن اللغط الذي تثيره مثل هذه التصرفات. أن نظل كلنا أسرى لرأي فقهي يمثل قلة في الأمة الإسلامية الواسعة وحتى منا نحن أمر عجيب وغريب ويثير كثيراً من التساؤلات كما أنه لا يفوتني هنا تذكيركم أيها الاخوة والاخوات أن الأمر قد يبدأ بهدم مسجد أو إزالة قبر ولكنه سرعان ما يمكن أن يتحول إلى قتل إنسان أو جماعة لا تتفق مع رأي فقهي بعينه.

هذا الموضوع ليس ضربا من خيالي أو زعماً فارغاً فها هم قوات الأمن عندنا في معارك شبه يومية مع جماعات تريد فرض رأيها علينا بقوة السلاح إن لزم الأمر ولا تتردد ولو للحظة في إزهاق أرواح الأبرياء في سعيهم لتحقيق أهدافهم.

إن الاعتداء على آثار الأمة التاريخية ضرب من العنف الفكري الذي لا يختلف كثيرا عن العنف الجسدي الذي تمارسه تلك الجماعات الإرهابية علينا فهو إرهاب فكري لا يقل في خطورته و ضرره عن الإرهاب المسلح.

صحيفة المدينة ٢٠٠٦/٤/٣٠

* * *

أيتها المؤسسة الدينية.. نظري حولك!

هاني نقشبندي

لنقل ان أحدنا مخطئ: الاسلام، أو المسلمون، أو المؤسسة الدينية.

اقول ذلك لأني بتُّ أجد نفورا عالميا كبيرا من الاسلام، حتى من المسلمين انفسهم.

هل هو سوء فهم للاسلام؟ ربما. هل هو سوء فهم المسلمين؟ ايضا ربما..

لكن لا الاسلام، ولا المسلمين ملام بالدرجة الاولى، بل هي المؤسسة الدينية.

اقصد بالمؤسسة الدينية: رجال الدين والهيئات الدينية الرسمية، التي تصدر الفتاوى، وترسم طريق حياتنا وتضع كتب مدارسنا، وتحدد حتى ما نلبس ولا نلبس، ومن الكافر ومن المؤمن.

كان الدرس الاول الذي عملتنا اياه هذه المؤسسة ان الآخرين كفارا يريدون تدميرنا.

ثم.. وعندما كبرنا، وجدنا اننا نحن المسكونون بالرغبة في تدمير الآخر اكثر مما هي رغبة الآخر في تدميرنا.

كان الدرس الاول خاطئا اذا. ثم كان الدرس الثاني بالمثل، فالثالث..

فجأة وجدنا العالم يتقدم، والنظرة للاسلام تتأخر.

والمؤسسة الدينية مربوطة بحبال طول الواحد منها اكثر من الف عام.

والمؤسسة الدينية لا تعترف بشيخوختها التي ترفض ان تمتزج بدماء شابة هي في حاجة لها.

هي لا تعلم ما يدور في الشارع من وراء قلاعها التي لا تحمل سوى نافذة ضيقة ترى منها العالم الخارجي.

هي لا تعلم شيئا عن تطور العلم، من الفلك الى المنطق، ورجالها لم يقرأوا يوما عن الفلسفة والتاريخ..

كل ما يعرفونه هو ابن تيمية وابن القيم وبخاري ومسلم.

كيف لأعضاء هذه المؤسسة ان يرسموا طريقا عصريا وقد تراكمت عليهم أغبرة التاريخ؟

كنا نقول ان الاسلام يتميز عن الاديان الاخرى باللاواسطة بين الانسان والله.

لكننا لم ندرك سوى الآن ان مؤسستنا الدينية اصبحت هي الواسطة بيننا وبين الله.

لا بأس لو كانت هذه المؤسسة اكثر استنارة وتطورا، لكن ان تكون بعيدة عن علوم الدنيا وتطورات الحياة، فلسنا في حاجة لها. فكل منا يعرف كيف يصلي ويصوم دون شيخ أو مؤسسة دينية لم تفتح ابوابها العتيقة لشمس المعرفة، منذ مئات السنين.

عندما انظر الى ما يحدث في العراق، وأتذكر ما حدث في افغانستان، استطيع ان ارى حجم الدمار الذي خلفته المؤسسة الدينية في مجتمعنا، بعد ان توقفت ساعة الزمن بقرب سريرها.

فهي في افغانستان لم تبن الانسان العصري، بل كبلته بفتاوى أثرية، وفرضت عليه حتى طريقة صنع الخبز التي كانت ايام الصحابة.

وبالمثل العراق، عندما اعلنت المؤسسة الدينية انها ممثل الله على الارض، فأفتت بتحريم هذا وسفك دم ذاك، فكانت النتيجة الف قتيل، ثم ثلاثة الآف قتيل، ثم عشرة.

ان شاءت المؤسسة الدينية ان تحظى بمكانة مرموقة، فعليها ان تنفض عن اكتافها غبار الزمن، وان تنظر حولها، وتعيد فتح كتبها القديمة، فتأخذ بأحسن ما فيها، وتترك الباقي في سباته الأزلي.

على المؤسسة الدينية ان تقرأ الواقع، وتعترف بأنها تأخرت عن اللحاق بركب الحضارة، وبأنها اخطأت، وبأن الناس باتوا اقرب الى الالحاد منهم الى الايمان بسبب تعلقها اللا معقول بالماضي.

كلنا مؤمن بالله بلا شيخ أو قسيس او كاهن. وبلا مؤسسة دينية.

لكننا، رغم ذلك، سنقف معها ان طورت نفسها، وتخلت عن ثوبها القديم المهترىء، ولبست ثوبا جديدا وعصريا يعيد اليها جمالها، وقيمتها!

إيلاف ٢٠٠٦/٥/١١

الصوفيون في الحجاز



نشر موقع العربية على شبكة الانترنت في الرابع من مايو مقالاً للكاتبة بلقيس دارغوث تحت عنوان (الصوفيون يخرجون الى الضوء في السعودية)، تحدثت في عن أجواء الانفتاح الديني الجديدة في السعودية، والتي سمحت للمدارس الفكرية المتعددة بالانبعاث مجدداً، ومن بينها المدرسة الصوفية السائدة في الحجاز. يتناول المقال موضوعاً يقترب من تقارير تتناول جماعة لم تجد مساحة حرية كافية تسمح لها بممارسة شعائرها الدينية دونما احتياطات وحذر، ولكن يبقى للمقال أهمية خاصة كونه يعكس جانباً من الشعائر الدينية واحيائها في منطقة الحجاز، وبخاصة إحياء المولد النبوي الشريف. وذكرت الكاتبة في مقالها:

خيم الصمت على الحشد حين التقط شاب يجلس القرفصاء الميكروفون وغنى من دون عزف وموسيقى، قصيدة حول النبي محمد. وبعيون مغلقة وعمامة بيضاء وبرتقالية أنشد بحماسة هادئة: كم ابتهج العالم وازدادت السماء نوراً... يوم ولد النبي محمد. الرجال الذي حضروا المولد جلسوا على البسط الملونة مع هزة لطيفة إلى الأمام والخلف، فيما وزعت علب المحارم على النساء اللواتي كنّ يبكين وهنّ يشاهدن المنشد من على شاشة عرض كبيرة في الطابق العلوي. ويشكل المولد، الذي تعود تقاليده لقرون خلت، ركناً أساسيا بل الأكثر روحية لدى الصوفيين، وحتى فترة قريبة كان المولد يعتبر بدعة وضلالة في السعودية وممنوع في المملكة من قبل التيار الوهابي تحديداً.

حلقة تعبدية صوفية

إلا ان الانفتاح والتسامح الذي تشهده المملكة في الآونة الأخيرة جعل الصوفيين يخرجون إلى الضوء لممارسة شعائرهم وطقوسهم بحرية وبالعلن. ويرجع بعض المحللين الصوفيين التغييرات والتطورات الحاصلة في المملكة إلى أحداث ١١ ايلول عام ٢٠٠١، إذ من أصل ١٩ مختطفا كان هناك ١٥ سعودياً، الأمر الذي أدى إلى مراقبة الوهابيين، مذهب السعودية الرسمي، من داخل وخارج البلاد، وبالتالي استفاد الصوفيون من هذا التحول في المملكة ليجدوا لأنفسهم مكانا على الخارطة المذهبية في المملكة.

وعن ذلك قال (المعلم الصوفي) سيد حبيب عدنان ٣٣ عاما، لصحيفة واشنطن بوست الأميركية: (إن هذا من حسنات ١١ أيلول، حيث لجمت بعض ممارسات الوهابيين لناحية التكفير وطرد كل من هو خارج ملتهم... أدركت السلطات السعودية أن فرض معتقد ديني واحد على الجميع لم يكن بالفكرة الجيدة).

رجل الاعمال الحجازي واصف القبلي متهكماً: تمت ترقيتنا من كفار إلى جهلة يمارسون شعائر الدين بشكل خاطئ!

عندما انتقل عدنان الى السعودية قادما من اليمن قبل ٤ سنوات كانت التجمعات الصوفية سرية في أغلب الأحيان وتقام في البساتين خارج المدينة أو في طوابق تحت الأرض وبدون مكبرات صوت خوفاً من لفت الأنظار... وقال عدنان (لم يكن باستطاعتي أن ألبس عمامتي أو عباءتي وإلا فكنت سأصنف كـ(صوفي) ما كان يعتبر في حينه شيء خطير وممنوع ... حتى الكلمة كان محظوراً لفظها... كأنك تتحدث عن المخدرات!!).

يقولو صوفيو السعودية إنهم ليسوا طائفة أو يتبعون ديناً آخرا بل يعيشون حياة تتمحور حول مفهوم الإسلام عن الإحسان وفق الحديث النبوي الذي يقول أن اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك... كما يتبعون قاعدة أخرى تؤمن بقوة بركة النبي وآله وصحبه.

وساد الفكر الصوفي سابقا في الحجاز، المنطقة الغربية من المملكة السعودية، وحين تولى آل سعود مقاليد الحكم سيطروا على الحجاز ومنع الوهابيون الموالد على أنها بدع، كما حطموا أضرحة السيدة خديجة زوجة الرسول وابنته فاطمة وأضرحة بعض الصحابة خوفاً أن تؤدي إلى شكل من أشكال (عبادة الأصنام والإشراك بالله).

ومنح الوهابيون إدارة الشؤون الدينية في المملكة بعدما ساعدوا آل سعود في السيطرة على مناطق متعددة لتصبح المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢.

واشتدت وتيرة كبت الصوفيين بالإضافة إلى آخرين بعدما سيطر وهابيون مسلحون على مسجد مكة المكرمة عام ١٩٧٩ مطالبين بتطبيق قواعد إسلامية أكثر تشدداً في البلاد. وخشية تنامي حركة واسعة ومنافستهم على الحكم، قمعت السلطات السعودية في حينها محاولة الوهابيين، إلا أنها سمحت لهم بالتحكم بزمام بعض الأمور.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، أصدر رجال الدين فتوى كفروا بموجبها محمد علاوي المالكي، الزعيم الروحي للصوفيين آنذاك.

ومنع المالكي من إعطاء دروس في الجامع الكبير حيث علم كل من أبيه وجده، كما تم استجوابه من قبل المرجعيات الدينية ووزارة الداخلية. وبعد محاولة هجوم عليه في أحد المساجد، صدر قرار بأن يصلي تحت حراسة مسلحة.

وفي حملة دعت إلى إيقاف الصوفيين قبل أن يتناموا، هوجمت تجمعاتهم وألقي القبض عليهم. إلا أن الأحوال تغيرت في السعودية عام ٢٠٠٣ بإيعاز من ولي العهد حينها والملك حاليا عبد الله بن عبد العزيز، الذي ترأس سلسلة اجتماعات للاعتراف بطوائف البلاد الأخرى والمدارس الفكرية المتعددة في المملكة، وكان المالكي أحد ضيوف الملك.

وعندما توفي المالكي في العام الذي تلى، كان الملك عبد الله على رأس وفد من الوزراء والأمراء لحضور الجنازة...الأمر الذي كان بمثابة اعتراف كامل وشامل بالصوفيين. (تمت ترقيتنا من كفار إلى جهلة يمارسون شعائر الدين بشكل خاطئ) قال واصف القبلي، رجل أعمال ٥٩ عاماً.

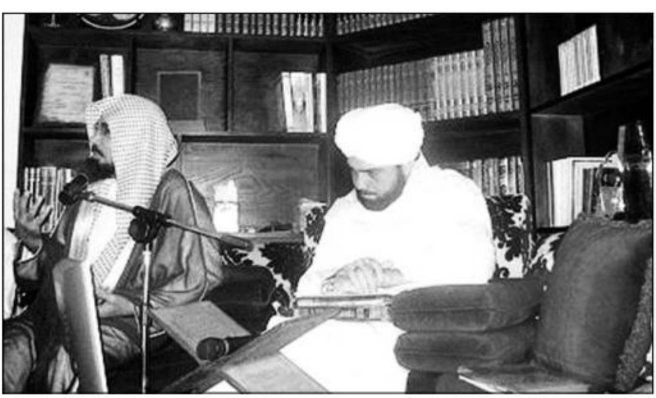
ورغم الأجواء المشاعة بالاعتراف بهم، إلا أن شكاوى بعض الصوفيين كشفت أن الوهابيين ما زالوا يحطمون أضرحة أماكنهم المقدسة ويهاجمون تجمعاتهم.

وقد أقام الصوفيون تجمعا الشهر الماضي لمناسبة ذكرى المولد النبوي حيث احتشد أكثر من ١٠٠٠ شخص. وفيما خصصت زاوية لبيع أشرطة واقراص ممغنطة للترويج للفكر الصوفي، تحدث عدنان بالإضافة إلى ٤ آخرين إلى الحشد متسائلا عن أسباب مهاجمة تجمعاتهم في الوقت الذي يتجمع فيه الآلاف لحضور مباراة كرة قدم ولاء للفريق الذي يدعمون.. (أما نحن فمضطرون دائما لتفسير ولاءنا للنبي).

محمد، طالب جامعي يتخصص في قسم الإقتصاد قال إنه وعدداً من الشباب السعوديين لفتهم (مفهوم التركيز على رب العالمين). وقال شاب آخر (لتكون صوفياً عليك أن تصفي قلبك من كل شي سوى الله)، وأضاف (الإسلام الذي تعلمناه هو جسد بلا روح... الصوفية هي الروح.. هي ليست ديناً بديلاً وبإمكانها أن تحتوي كل المسلمين).

وكان قبول الداعية السعودي سلمان العودة دعوة عدنان لحضور درس الأسبوع الماضي إشارة واضحة على المصالحة مع الصوفيين.

وقال عدنان الذي كان يجلس إلى جانب العودة (صحيح هناك اختلاف في أساليب العبادة، إلا أن هذا دليل على أن الناس تفكر وهذا دليل صحة، لكن علينا أن نركز على ما يجمعنا سوية.. حب الله والنبي، علينا أن نستغل ما هو مشترك بيننا).



الشيخ سلمان العودة في محضر المولد النبوي مع السيد عبد الله فدعق

نبذة تاريخية

ظهرت مدرستان رئيسيتان في نشأة الصوفيين.. مدرسة يمثلها أئمة من أهل السنة تميل الى تفضيل نصوص الترهيب والترغيب وتحض على الزهد في الدنيا (يمثله الحسن البصري والحارث المحاسبي

أدركت السلطات السعودية أن فرض معتقد ديني واحد على الجميع لم يكن بالفكرة الجيدة وكانت ١١ سبتمبر منبّهاً لخطورة الواحدية

رضي الله عنهم).

ومدرسة الكوفة ذو توجه فكري بجذور عرفانية. أهم أشخاصه جابر بن حيان وأبوهاشم الصوفي وعبدك الصوفي.

تعتبر المصادر أن أول من بدأ بتأسيس التصوف ضمن مدرسة الزهد الإسلامي هو الجنيد أبو القاسم بن محمد توفي ٢٩٧ هجري الذي كانت له آراء خاصة في التوحيد و النفس, ثم ظهر في ما بعد الحلاج.

شهدت الصوفية بعد ذلك قفزة جديدة بالتحول الجذري عند الإمام الغزالي الذي انقلب من مدرسة المتكلمين الى المدرسة الصوفية و كان كتابه (إحياء علوم الدين) محاولة لتأسيس العلوم الشرعية بصياغة صوفية, تلاه إعتماد الكثير من الفقهاء أبرزهم عبد القادر الجيلاني وأبو الحسن الشاذلي للصوفية كطريقة للتربية الإيمانية, ويبدو أن الجيلاني وأبو الحسن الشاذلي وتلاميذهما الذين انتشروا في كافة بقاع المشرق والمغرب العربي عادوا بالتصوف الى الجذور الإسلامية بالتركيز مرة أخرى على تعليم القرآن والحديث مقتدين بأشخاص مثل الحارث المحاسبي. وينسب بعض المؤرخين لهذه المدارس الصوفية المنتشرة دوراً كبيراً في تأسيس الجيش الذي ساند صلاح الدين في حربه ضد الصليبيين.

أهم الطرق الصوفية

١. الطريقة الجعفرية وتنسب لسيدي الشيخ صالح الجعفري الحسيني شيخ الأزهر الشريف.
٢– الطريقة الأحمدية الإدريسية: طريقة سيدي أحمد بن إدريس.
٣–الطريقة الرفاعية: والتي تنسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي.
٤–الطريقة القادرية: وتنسب إلى الشبخ عبد القادر الجيلاني.
٥–الطريقة الشاذلية : وتنسب إلى الشيخ ابو الحسن الشاذلي.
٦–الطريقة التيجانية : وتنسب إلى أحمد التجاني
٧– الطريقة العلية القادرية الكسنزانية: وتنسب الى السادة الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان والشيخ عبد القادر المهاجر والسلطان حسين الكسنزان والشيخ عبد الكريم وشيخها الحاضر الشيخ محمد الكسنزان.

بئر زمزم..

أسرار نبعه الغامض وفيضانه المستمر

لا يزال بئر زمزم بنبعه الفيّاض يبعث على الدهشة والسؤال حول سر احتفاظه على دفقانه ونقاوته فضلاً عن أسراره الاخرى. كتب وبحث كثيرون عن هذا البئر المبارك، وجدير بنا أن ننقل شذرات مما كتب عنه إحياءً لتراثنا المقدّس، مورد فخر المسلمين والانسانية بأسرها. وكان فرّاج اسماعيل وحنان الزير قد أعدّا تقريراً حول البئر جاء فيه:

في منبعه الأساسي سر غامض يعتبره علماء الجيولوجيا كنزاً كبيراً ربما يستحيل كشف رموزه إلى أن تقوم الساعة.. ما من ماء يصل إلى هذا النبع حتى يكتسب خواص ماء زمزم، نقاءه وطهارته. هذه النتيجة ليست نظرية أو غيبية أو منقولة من بطون الكتب القديمة، لكنها خلاصة أبحاث علمية شملت البئر وماءه ودرجة نقائه، وشملت مياه آبار أخرى قريبة جداً منه، وجد أنها لا تتمتع بنفس الخواص.

يفيض الماء منه منذ آلاف السنين دون أن يجفّ البئر أو ينقص حجم المياه فيه، وكانت مفاجأة مدهشة للعلماء أثناء توسعة الحرم المكي وتشغيل مضخات ضخمة لشفط المياه من بئر زمزم حتى يمكن وضع الأساسات، أن غزارة المياه المسحوبة قابلها فيضان مستمر في الماء، يفور ويمور كأنه أمواج البحر.

فإذا كان العلم يقول هذا ويتعجب منه، فإن بعض المنقطعين للعبادة في الحرم المكي والعاكفين يروون أسراراً لا يجدون لها تفسيراً، فيكتفون باعتبارها من الغيبيات التي توجب الاستنكار أو الدهشة، فماء زمزم الذي يشربونه في انقطاعهم للعبادة تتغير خواصه فيصبح كأنه لبن أو عسل مصفى.

مكنوز أسرار لا تستوعبه العقول

ويقول الكاتب السعودي عمر المضواحي المهتم بالكتابة عن الأماكن المقدسة إن هذا البئر هو أقدس آبار المياه عند المسلمين، وليس هناك شراب على وجه الأرض يفوق مكانة ماء زمزم عندهم. ويحملون لهذا الماء ذي الطعم الفريد، قدسية خاصة، ويؤمنون بأنه مكنوز بأسرار لا قبل للعقل البشري في استيعابها، أو لا يعرفون تفسيراً لتغيّر خواصه ومنافعه وفق حالة شاربه ورغبته.

وهو في لغة (العارفين) بريد الأمنيات المحققة، ولا يخالط قلوبهم ذرة شك في أن (زمزم لما شرب له)، وبأنه كفيل بتحقيق أمنيات شاربه مهما كانت، شرط أن يكون مؤمناً صادق الإيمان والنية، غير مكذب لخاصيته ولا يفعل ذلك كنوع من التجربة.

وعند هؤلاء (العارفين) أيضاً أن الله مع المتوكلين وهو يفضح المجربين، فشرب زمزم عندهم للخائف أمان، وللمريض شفاء، وللجائع طعام، ولا يخالط شاربه، لإيمانه القاطع بأسراره، أي عجب أو استنكار فيما لو تغير حاله من محض ماء، إلى شراب من سويق أو لبن أو عسل مصفى، للمنقطعين والعاكفين في البيت العتيق. والمرويات حول هذه الغرائب كثيرة، ناءت بحملها بطون الكتب الدينية وأسفار التاريخ والسير.

يضيف عمر المضواحي: ما يزيد هذا البئر شرفا عند المسلمين أنه حفر بجناح جبريل، وساقت الملائكة مياهه من أنهار الجنة غياثا للسيدة هاجر وإبنها الرضيع إسماعيل (عليهما السلام)، وسقياً لضيوف الرحمن، وليكون آية للناس على مر العصور والأزمان.

وقد كانت رئاسة شؤون الحرمين الشريفين، وهي الجهة التي تتولى مسؤولية العناية بالمسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة، قد أكملت مشروع توسعة صحن الطواف المحيط بالكعبة المشرفة، ليستوعب الآن نحو ثلاثة أضعاف عدد الطائفين عما كان في السابق.

وقامت بردم مدخل البئر السابق في الجنوب الشرقي من واجهة الكعبة المشرفة، وتسقيف سطحه المفتوح ليدمج مع صحن الطواف. ونقل المدخل الى خارج الحرم من جهة الصفا في المسعى باتجاه جبل أبي قبيس. ويهدف المشروع لمواجهة كثافة أعداد الحجاج والمعتمرين بعد موافقة الحكومة السعودية على فتح باب العمرة واستقبال نحو ١٠ ملايين معتمر طوال تسعة أشهر من السنة.

ويستطرد المضواحي أن بئر زمزم هو بئر الماء الوحيد الذي تشرف عليه وزارة للبترول في العالم، حيث تشرف وزارة البترول والثروة المعدنية على بئر زمزم باعتباره ثروة قومية ودينية في البلاد.

ويصف الدكتور المهندس يحيى حمزة كوشك في حديث مع عمر المضواحي نشره في جريدة الشرق الأوسط عام ٢٠٠٤ ميلادية المشروع الجديد بأنه حل جيد من ناحية توسعة المطاف لكنه يؤيد مشاهدة الناس لبئر زمزم وبأي وسيلة كانت. وقال: "كانت هناك فكرة لتسقيف سطح البئر بالزجاج الشفاف, لكن المشكلة أنه سيكون عائقا جديدا نتيجة تجمهر الناس عليه لرؤية البئر مما سيتسبب في مضايقة الطائفين, كما هو الحال الآن, أمام وخلف مقام إبراهيم وخط بداية الطواف الجديد".

البئر تحت صحن الطواف

ويؤكد الكوشك وهو أول خبير سعودي في المياه والذي أشرف على دراسة تاريخية لبئر زمزم في العام ١٤٠١ هـ أنه: (لم تخرج بئر زمزم من ساحة الحرم. وهو موجود في مكانه تحت مستوى صحن الطواف.. وهو محاط بسياج من ألواح الزجاج السميك ليتمكن الناس من مشاهدته قبل المشروع الجديد بهدف منع الروائح النافذه التي كانت تنتج من اغتسال بعض الحجاج والمعتمرين والمصلين, والذين كانوا يستخدمون ماء زمزم بشكل سيئ).

وقديما كان على البئر بناء تعلوه قبة مساحته ٨٨.٨ متر مربع يحتوى على غرف مستودعات ومستبرد لدوارق ماء زمزم تم هدمه ما بين عام ١٣٨١ ـ ١٣٨٨ هـ لتوسعة

المطاف. وتم عمل بدروم مكيف اسفل المطاف بمدخل منفصل للرجال والنساء. ويمكن رؤية البئر من خلف حاجز زجاجي شفاف، كما استبدلت أيضاً طريقة الشرب القديمة التي كانت تعتمد على جلب الماء بالدلاء من جوف البئر إلى اعتماد أنظمة حديثة توفر ماء زمزم عبر نظم سقاية حديثة لتوفيره مفلتراً وبارداً ومعالجاً بالأشعة فوق البنفسجية ليكون بأفضل المستويات الصحية.

نقود وأباريق شاي في قاع البئر

ويتذكر الكوشك في حديثه المشار إليه، أنه تم إحاطة البئر بالزجاج لمنع الناس من إلقاء أشياء ومتعلقات وسط البئر طلباً للبركة وغيرها. يقول: (وجدنا أثناء عمليات تنظيف البئر نقود معدنية وأباريق شاي، وقرون عظمية تحمل نقوشا وأعمالا سحرية. وكان من بين ما وجدنا في البئر قطعة من الرخام كتب عليها المجاهد الليبي عمر المختار (رب حقق ما في نفسي!).

يضيف الكوشك عن المشروع الجديد: (تم عمل نفق أرضي من خارج الحرم للوصول الى البئر وهو خاص بعمليات الصيانة فقط. وكان هناك رأيين حول استخدامات هذا النفق. الأول أن يتاح للراغبين في رؤية البئر الدخول منه من دون السماح بالإغتسال فيه. والرأي الآخر استبعد ذلك لعدة عوامل منها أن مسافة النفق طويلة (نحو نصف ميل)، ومساحته ضيقة، ويحتاج الى أنظمة تهوية وإنارة وإجراءات أمنية).

المصدر الرئيسي تحت الحجر الأسود

ولماء زمزم أسماء تزيد عن (٦٠) إسماً أشهرها زمزم، وسقيا الحاج، وشراب الأبرار، وطيبة، وبرة، وبركة، وعافية. وتمت عدة دراسات علمية بهدف معرفة مصادرها من المياه. وخلصت هذه الدراسات أن بئر زمزم تستقبل مياهها من صخور قاعية تكونت من العصور القديمة، وذلك عبر ثلاث تصدعات صخرية تمتد من الكعبة المشرفة والصفا والمروة وتلتقي في البئر.

أيضا ينقل عمر المضواحي عن المهندس فخري بخش مدير مبيعات مياه (أفيان) الفرنسية في شركة البحراوي السعودية قوله: إن شركة فرنسية اخترعت جهاز دقيق للغاية في تحليل تركيب المياه، وجاءت إلى السعودية لتسويقه. وقام ممثل الشركة بعرض إمكانيات الجهاز الحديث أمام مندوبي وكلاء المياه المحلاة والمعدنية المستوردة الى السوق المحلي تبين فيه أن ماء زمزم كان أنقى المياه التي تم اختبارها في هذا الجهاز.

ويصف المهندس يحي كوشك وهو يحمل شهادة الدكتوراه في هندسة البيئة من جامعة واشنطن الأمريكية العام ١٩٧١م مصادر مياه بئر زمزم وفق التحديد الذي قام به مع الفريق العلمي الذي رأسه عام ١٤٠٠ هـ ونشر نتائجه في كتابه (زمزم) بقوله: "المصدر الرئيسي فتحة تحت الحجر الأسود مباشرة وطولها ٤٥ سم، وارتفاعها ٣٠ سم، ويتدفق منها القدر الأكبر من المياه.

والمصدر الثاني فتحة كبيرة باتجاه المكبرية (مبنى مخصص لرفع الأذان والإقامة مطل على الطواف)، وبطول ٧٠ سم، ومقسومة من الداخل الى فتحتين، وارتفاعها ٣٠ سم. وهناك فتحات صغيرة بين أحجار البناء في البئر تخرج منها المياه، خمس منها في المسافة التي بين الفتحتين الأساسيتين وقدرها متر واحد. كما توجد ٢١ فتحة أخرى تبدأ من جوار الفتحة الأساسية الأولى، وباتجاه جبل أبي قبيس من الصفا و الأخرى من إتجاه المروة.

ويبلغ عمق البئر ٣٠ مترا على جزئين: الأول مبني عمقه ١٢.٨٠ مترا عن فتحة البئر، والثاني جزء منقور في صخر الجبل وطوله ١٧.٢٠ متر. ويبلغ عمق مستوى الماء عن فتحة البئر حوالي أربعة أمتار، وعمق العيون التي تغذي البئر عن فتحة البئر ١٣ متراً ومن العيون الى قعر البئر ١٧ متراً.

الماء فاض خلال ١١ دقيقة فقط

ويقول عند حديثه عن ضخ مياه زمزم: (بعد أن وضعت أربع مضخات قوية جدا كانت تعمل على مدار ٢٤ ساعة، وبمعدل ضخ وصل الى ٨٠٠٠ لتر في الدقيقة. كان منسوب المياه من الفوهة ٣.٢٣ متراً، وكانت القراءة تتم كل نصف دقيقة، حتى وصل منسوب المياه في داخل البئر الى ١٢.٧٢ متراً، ثم وصل الى ١٣.٣٩ متراً، وفي هذا العمق توقف هبوط الماء في البئر.

ولما تم توقيف المضخات بدأ الماء يرتفع حتى وصل الى ٣.٩ مترا خلال إحدى عشرة دقيقة). وسجّل مشاهداته بقوله: (لن أنسى ما حييت هذا المنظر الرهيب، كانت المياه تتدفق من هذه المصادر بكميات لم يكن يتخيلها أحد، وكان صوت المياه وهي تتدفق بقوة يصم الآذان).


بئر ماء زمزم

وقال: وفقا للدراسات التي قمنا بها وجدنا أنه عندما تهطل الأمطار على مكة المكرمة ويسيل وادي إبراهيم يزداد منسوب مياه زمزم زيادة طفيفة في البئر.

ولكن عندما تهطل الأمطار على المناطق المحيطة بمكة كالطائف وغيرها تزداد المياه زيادة عظيمة في بئر زمزم. ومعنى هذا أن المصدر الأساسي للبئر هو الجبال المحيطة بمكة والتصدعات الصخرية الموجودة فيها. وفي كتابي (زمزم) توجد صورة أخذت عبر الستالايت مرفقة بتحليل يبين أن كل هذه التصدعات الصخرية متجهة الى بئر زمزم.

السر يكمن في النبع الأساسي للبئر

أضاف: أعتقد أن السر يكمن في النبع الأساسي للبئر. فأي مياه تنبع من هذا المكان تكتسب خاصية ماء زمزم. والغريب في الموضوع أن هناك بئراً آخر في الحرم إسمه بئر "الداوْدية" وكان موجوداً عند باب إبراهيم ويبعد في حدود ١٢٠ متراً عن بئر زمزم، لكن نتائج تحليل مياهه تختلف تماما عن تركيبة ماء زمزم وهي النتيجة ذاتها التي توصلت إليها عند تحليل مياه عين زبيدة أيضاً.

يقول المضواحي: من لطائف ما يشاع بين المسلمين في حياتهم الإجتماعية أن يدعو الساقي لشارب الماء بأن يمد الله في عمره ليشرب من ماء زمزم. تماماً كما يتمنون لبعضهم البعض بعد فراغهم من الصلوات بقولهم (حرماً) فيجيب الآخر (جمعاً إن شاء الله!).

ومنذ القدم كان المكّيون يستقبلون ضيوفهم بماء زمزم إظهاراً لتكريمهم

والاحتفاء بهم. وهم يتفننون بتقديمه بارداً من دوارق طينية نظيفة مبخرة باللبان (المستكه)لإكسابه نكهة خاصة محببة للشارب منه. ولاتزال هذه العادة باقية حتى الآن.

لكنهم لا يقدمون في شهر رمضان على موائد الإفطار غير ماء زمزم الى جانب حبات من رطب التمر. ويحرصون على (تحنيك) مواليدهم حال ولادتهم بماء زمزم وبشق تمرة إقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم مع السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما.

كما يحرص المكيون على جعل ماء زمزم آخر ما يغسل به موتاهم قبل دفنهم رجاء بركته وحسن عائدته. ومن الطريف أن الأمهات في مكة يحرصون على شرب أبنائهم الطلاب ماء زمزم قبيل توجههم الى الاختبارات الدراسية رجاء أن لا ينسوا ما حفظوه من دروس للإجابة عليها في ورقة الاختبار.

ويألف كل من قدم الى المسجد الحرام رؤية معظم الحجاج والمعتمرين القادمين من الخارج على غسل قطع طويلة من قماش قطن أبيض اللون وغمرها بماء زمزم، ومن ثم تجفيفها في أروقة الحرم ليحفظوها بعد ذلك لاستخدامها تبركاً كأكفان لهم ولموتاهم في بلادهم.

كما أنه يندر أن يقفل حاج أو معتمر في رحلة العودة الى بلده دون أن يتزود بكميات منه يتحف بها أهله ومقربيه على سبيل الإهداء والتبرك بها.

ويحرص شيوخ الرقى الشرعية على التزود بكميات كبيرة من ماء زمزم ليتولوا قراءة القرآن عليه وتقديمه لقاصديهم من المرضى ومن مسهم الجن لشرب مقدار يحددونه لإتمام العلاج بالرقية.

الاستشفاء بماء زمزم

ويجيب الشيخ الدكتور عبدالله بن بيه وزير العدل الموريتاني الأسبق عن جواز استشفاء غير المسلمين بماء زمزم بقوله: لا أعرف في هذا نصاً. لكن الظاهر لي إذا كان المسلم يعالج غيره، فيمكنه أن يعالجه بماء زمزم حتى يظهر كرامة هذا الماء لغير المسلم، وحتى يكون من باب الدعوة له في دخول الإسلام.

وأستدل الشيخ العلامة بقصة تصدي بعض الصحابة (رضي الله عنهم) لعلاج رجل كافر كان لديغاً، فعالجوه بقراءة الفاتحة عليه. وأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك كما ورد في الحديث الشريف".

وروى المؤرخ الفاكهي في كتابه (أخبار مكة) قصصا تشير الى حب علماء أهل الكتاب لماء زمزم. ونقل عن أبي حصين عن مجاهد بن جبر التابعي المكي، شيخ القراء والمفسرين قوله: كنا نسير في أرض الروم، فآوانا الليل الى راهب، فقال هل فيكم من أهل مكة أحد؟ قلت: نعم، قال: كم بين زمزم والحجر الأسود؟. قلت : لا أدري، إلا أن أحزره، قال: لكني أدري، إنها تجري من تحت الحجر، ولأن يكون عندي منها ملء طست، أحب إلي من أن يكون عندي ملأه ذهبا.

وروى الشيخ سائد بكداش مصنف كتاب (فضل ماء زمزم)عن محمد بن حرب أنه قال: إنه أسر في بلاد الروم، وأنه صار الى الملك، فقال له: من أي بلد أنت؟. قال من أهل مكة، فقال: هل تعرف بمكة هزمة جبريل ؟ قال: نعم ، قال: فهل تعرف برة؟ قال: نعم ، قال: فهل لها إسم غير هذا؟ قال: نعم، هي اليوم تعرف بزمزم. قال: فذكر من بركتها، ثم قال: أما إنك إن قلت هذا، إنا نجد في كتبنا: أنه لا يحثو رجل على رأسه منها ثلاث حثيات فأصابته ذلة أبدا.

نبع باق إلى يوم القيامة

وتروي كتب التاريخ الإسلامي أن ماء زمزم نبع باق لا ينقطع الى يوم القيامة. وأن كل المياه تغور قبل يوم القيامة إلا زمزم. وروي عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: (إن الله عز وجل يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة، وتغور المياه غير ماء زمزم). وروي عن ابن عباس أنه قال: صلّوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار. قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب (ميزاب الكعبة)، قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

حضور غامض لزمزم في قصص الغيبيات

ومن العجيب أن المتفحص لقصص (الغيبيات) في الإسلام، يجد حضوراً غامضاً لماء زمزم خلف معظم الحالات. ودائماً ما يرتبط حضور زمزم بدور فريد وفعال في كل حالة. فبهذا الماء المقدّس غسل قلب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مراراً، ودائما في طست من الذهب وبيد جبريل عليه السلام، توطئة لبعثته صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وتهيئة لمعراجه في طريقه للسماء مرة واحدة.

ويقول الدكتور المهندس سامي عنقاوي، رئيس مركز أبحاث الحج: عندما كنا نحفر في زمزم عند التوسعة الجديدة للحرم كنا كلما أخذنا من ماء زمزم زادنا عطاء، فقمنا بتشغيل عدد من المضخات لكي نرفع الماء حتى يتيسر لنا وضع الأسس, وكلما نشفط المياه التي وصلت الى واحد وعشرين ألف لتر في الدقيقة تضخ مرة اخرى.

الأبحاث العلمية أكدت خلوه تماما من الجراثيم

وأضاف: قمنا بدراسة لماء زمزم من منبعه لنرى هل فيه جراثيم، فوجدنا أنه لا يوجد فيه جرثومة واحدة.. فهو نقي طاهر ليس فيه أدنى شيء, لكن قد يحدث نوع من التلوث بعد ذلك في استعمال الآنية أو أنابيب المياه أو الدلو فيأتي التلوث من غيره. ومن خصوصية ماء زمزم أيضا أنك تجده دائما فهو يعطي ويفيض منذ آلاف السنين إلى اليوم.

وكان الكاتب المكّي المتخصص في الكتابة عن المشاعر المقدّسة عمر المضواحي قد كتب عن بئر زمزم بما نصه:

(ربما الحنين, وربما هو الشعور باللوعة على تنائي بئر زمزم عن صحن الطواف!). كلمات همهم بها الحاج عمر بن حبدي الأنصاري يصف فيها لسان حال الحجر والمقام والحطيم في البيت العتيق حزنا على فراق زمزم بعد وصال مضى لأكثر من خمسة آلاف عام. وأضاف وهو يرنو الى بهو المطاف من الطابق العلوي للحرم: (يحزنني أن لا أرى بئر زمزم بجوار الكعبة بعد الآن. أعلم أن المطاف يضيق بكثرة الطائفين والعابدين. وأن ماء زمزم قريب ومتوافر في كل أركان الحرم. لكن قلوب الحجاج وضيوف الرحمن تهفو الى رؤية البئر فهي آية معجزة، وفي النظر اليها عبر وعظات).

بئر ماء زمزم تبعد نحو ١٨ مترا من موقع الحجر الأسود الى الشرق من باب الكعبة. وهي خلف مقام إبراهيم (عليه السلام) والى اليسار منها علامة واضحة على قطعة مستديرة من الرخام مكتوب عليها (بئر زمزم) تشير الى تعامدها مع فتحة البئر الموجودة تحت مستوى المطاف بعمق ١.٥٦ سم.

وهذه البئر هي أقدس آبار المياه عند المسلمين. وليس هناك شراب على وجه الأرض يفوق مكانة ماء زمزم عندهم. وهم يعطون لهذا الماء ذي الطعم الفريد، قدسية خاصة. ويؤمنون بأنه مكنوز بأسرار لا قبل للعقل البشري في استيعابها، أو تفسير تغير خواصه ومنافعه وفق حالة شاربه ورغبته.

مشكلة الحريات الفكرية والصحفية في السعودية

منصور النقيدان

مشكلة الحريات في السعودية ملتبسة ومعقدة يتداخل فيها الديني بالسياسي، والأمني بالفكري، وضمن هذه الخلطة يجد الوشاة والمتزلفون وشيوخ السلطة دائما صيدهم الثمين ويتمكنون من توجيه حرابهم إلى ظهور الآخرين. والمدهش في الأمر أنه بإمكان أي شخصية نافذة دينية أو سياسية أن تقوم بالمنع، ولكن من يسمح بالكتابة بعد المنع هو جهة واحدة. مؤخراً أصبح المنع غالبا ما يجري إما بتعميم وزارة الإعلام (السرية للغاية) أو بالتفاهم الشفهي مع الصحف وهو الأغلب، من دون التعامل المباشر مع الكاتب كما حصل مع الكاتبين السعوديين أستاذ الاجتماع السياسي خالد الدخيل والروائي تركي الحمد. وفي حالات نادرة حينما يتمرد الكاتب بأن يتجاوز المنع خارج الأسوار في صحيفة دولية أو عبر قناة فضائية، يجري سحب جوازه ومنعه من السفر، كما حصل مع حسن المالكي أحد نقاد السلفية. وتبقى دائماً إمكانية السجن أو التوقيف ثم المحاكمة تحكمها مكانة الكاتب، فإن كان مشهوراً ومؤثراً أو تحت أضواء الإعلام الدولي شكلت تلك حصانة له. أما إذا كان ثمة شكاوى من شيوخ الدين فإن ذلك يشكل إحراجاً وضغطاً كبيراً على القادة السياسيين، وفي أحوال نادرة يتم الاكتفاء بعقد مجلس للكاتب للوصول إلى صيغة ترضي الشيوخ، وإلا جرى إرضاؤهم بكبش فداء أكثر تواضعاً يذهب غيظ قلوبهم، حيث تجري محاكمته وسجنه.

في السنوات الأربع الماضية كانت دائماً مطالب الشيوخ ودعمهم للسلطة في حربها على الإرهاب مقروناً ومشروطاً بمنع كتاب معينين، أو منع الكتابة عن قضايا دينية معينة. القضاء كان دائماً ألعوبة في أيدي كبار المسؤولين من جهة، ومنفذاً للأحكام التي تمليها الأجهزة الأمنية من جهة أخرى. والمتابع لمجريات محاكمة الإصلاحيين يرى الفوضى التي صاحبت جلساتها، والتلاعب في الأنظمة واللوائح.

وقبل خمسة عشر عاماً في سجن الحائر (جنوب الرياض) لفتت انتباهي عبارة كتبت على طبقة رملية رقيقة راكمتها الرياح فوق أرضية الساحة الإسفلتية، كانت العبارة هي "قتل الشهيد صادق". بقي الوضع مثيراً للاستغراب بعد تكرار كتابتها في أماكن عدة. لم يلفت انتباهنا أن الصحف صباح ذلك اليوم لم تدخل علينا، ولا أن التلفزيون كان مغلقاً مساء الجمعة ساعة بث نشرة الأخبار الرئيسية والوحيدة يوم ١٩٩٢/٩/١٢.

بعدها بأيام حصلت لدينا أخبار مشوشة من أحاديث جرت خلسة وبعيداً عن أعين السجانين مع أبناء المذهب الشيعي الذي كان السجن يحوي عشرات منهم، ملخصها أن صادق قتل لأنه كان شيعياً فقط، ولأنه رفض أن يقر ببطلان عقيدته أمام المحققين والقضاة، بعد سلسلة من الدسائس والوشايات. مرت الحادثة علينا مرور الكرام لأننا من جهة لم نأسف حينها على قتل إنسان يحمل عقيدة تمثل بالنسبة لنا مذهباً معادياً مشبوه النشأة.

بعدها بفترة قصيرة جداً كانت الزنازين قد ضمت بين جدرانها مؤسسي لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية.. وكالعادة كانت حزم من التهم مشفوعة بعشرات السياط والعصي قد انهالت على قدمي د. محمد المسعري أستاذ الفيزياء النظرية السابق في جامعة الملك سعود، لحمله مكرهاً على الإقرار بأنه يؤمن بخلق القرآن، ويدين بعقيدة المعتزلة.

لعقود كانت يد الأجهزة الأمنية تطال دائماً بالإيقاف والاعتقال والتجريم كل من دارت الشكوك حوله أو خرج عن المألوف سياسياً أو دينياً، أو طائفياً، أو مذهبياً، إما لمقالة نشرها في صحيفة محلية تمر على حين غفلة من الرقيب، أو لبحث أو كتاب قام بنشره، أو بسبب كلمة ألقاها في محاضرة، أو تعليق على ندوة أو محاضرة في مسجد، أو بسبب تعليق في قناة فضائية. وفي عام ٢٠٠١ ألقت أجهزة الأمن القبض على د. سعيد فالح الغامدي بعد مقال نشره في صحيفة الوطن أشاد فيه بالزعيم المصري جمال عبد الناصر، وقد دوهم منزله وأهين أمام أبنائه وأوقف أياماً، جرى منعه بعدها من الكتابة.

كانت حساسية الحكم دائماً من أي تجمع ذي صبغة حركية أو تنظيمية باعثاً لمعاملة أقسى وإجراءات أكثر صرامة وعنفاً، غير أن أهواء الشخصيات النافذة وأحقاد المسؤولين الفردية تبقى أيادي خفية ضمن منطقة معتمة يصعب تمييزها عن الأحكام القضائية المتناقضة الصادرة من جهاز ظل دائماً في انتظار ما تمليه رغبة ولي الأمر. يوم الاثنين ٢٠٠٥/٨/٨، استدعى المدير العام للمباحث إلى مكتبه أربعة إصلاحيين من زنازينهم، كان قد جرى اعتقالهم لمدد تتراوح بين عشرة شهور وسنة ونصف السنة، إثر تقديمهم لعرائض تضمنت مطالب إصلاحية تستهدف جوهر نظام الحكم السعودي، وقال لهم بالحرف الواحد (إن الملك عبد الله اتصل بي، ويبلغكم السلام، ويأمرني بإطلاق سراحكم من دون أية شروط أو تعهدات) وهو يقول لكم (أنتم وضمائركم). وبعد يومين أقلت طائرة ثلاثة منهم الى جدة وقاموا بالسلام على الملك، وكانت حالة استثنائية تمثل انقلاباً في تعامل الحكم مع أشخاص كانت بيانات وزارة الداخلية طول فترة اعتقالهم تصمهم بالتعامل مع الأجنبي، وتلمح إليهم بالخيانة، وإلصاق شتى التهم التي لم تكن تدعمها إلا الأوهام.

قد تكون وشاية أو شكوى يتقدم بها إمام مسجد أو شيخ ضد شيخ آخر لا يقل عنه علماً وتقوى، أو كاتب لا يروق له طرحه، أسباباً كافية لاستدعائه وتوبيخه أو الضغط عليه لكي يتراجع عن مقالة كتبها. وربما طلب منه أن يتعهد بعدم الكتابة مرة أخرى وعدم الظهور في أي وسيلة إعلامية وإلا تعرض لأقصى العقوبات. في ديسمبر ٢٠٠٠ استدعت المباحث عدداً من كتاب مثلوا طليعة لمرحلة جديدة لجيل من الكتاب، منهم الكاتب والقصاص محمد الحضيف، والمحامي عبد العزيز القاسم، ومشاري الذايدي وغيرهم. وبطبيعة الحال اعتبرت تلك الأقلام أسماء محرمة على الصحف السعودية.

ثمة سقف رمادي على الكاتب أو الشيخ ألا يتجاوزه، يستبهم عادة على الباحث معرفته لأن وزارة الإعلام أخفقت في توضيحه، واستغلق تعريفه على نظام النشر والمطبوعات، إذ يختصر أحياناً بكلمة ملخصها أن (عليك أن تكتب كما يكتب الآخرون، وأن تبتعد عن إثارة الفتن والبلبلة، وإزعاج ولاة الأمر). وتبقى بعدها الظروف والتغيرات المحلية والأحداث الأمنية مناخاً يشكل ذلك السقف الضبابي من جديد، ويعيد صياغته إما إلى الوراء أو يمنحه دفعاً إلى الأمام، وربما تمخض عن قائمة محرمات جديدة. في مثل هذه الأجواء يحاول كل من يحمل قلماً أن يجد له منفذاً، ومع كل ذلك فكثيراً ما يرتكب البعض أخطاء قاتلة في مسيرته المهنية. وفي هذا السياق يمكن فهم قيام المفتي عبد العزيز آل الشيخ باستدعاء الشيخ دبيان الدبيان إثر كتابته بحثاً مختصراً في مسألة جواز الأخذ مما زاد عن القبضة من اللحية، ومطالبته بالاعتذار وإصدار اللجنة الدائمة للفتوى التي يرأسها آل الشيخ بياناً يطالبه بالتوبة، ثم منع كتابه من النشر. كانت تلك الحادثة الطريفة تمثل الوجه الآخر لقيام المباحث العامة باستدعاء الكاتب سليمان النقيدان عقب مقال نشره في صحيفة الشرق الأوسط في مارس ٢٠٠٣ عن وهم الخصوصية السعودية، حيث منع من الكتابة أو الظهور إعلامياً حتى اللحظة هذه.


أفق مكة: رافعات ضخمة وناطحات سحاب نصف مشيّدة تطل على المسجد الحرام في مكة. وهناك ست منشئات جديدة، بما فيها مبنى زمزم لمجموعة بن لادن، كلها تقوم بتغيير وجه أقدس مدينة إسلامية.

عار في البيت السعودي

ظلال قاتمة على مكة

ثمة صور لم تُرى من قبل كشفت كيف يستحوذ هوس التصنيم على المتشددين الوهابيين ليدفع بهم للتآمر مع العاملين فيما يسمى بمشروع توسعة الحرمين الشريفين لتدمير تراث الاسلام.

فقد كتب دانييل هودن في صحيفة الايندبندنت في التاسع عشر من أبريل الماضي مقالة جاء فيها:

ثمة وشاح بائس يسدل على المدينة المقدّسة في الاسلام. فعلى بعد عدة أمتار قليلة فحسب من جداران المسجد الحرام في مكة تمتد ناطحات السحاب نحو عنان السماء، وتحجب تدريجياً الضوء. إن هذه البنايات الجديدة اللافتة والضخمة تسهم في تحجيم الوشاح الاسود الأنيق المسدل على الكعبة، النقطة المحورية لأربعة ملايين حاج سنوياً.

تمثل المجمعات الشاهقة والحصينة الدليل الاخير والأكبر على تدمير التراث الاسلامي والتي ساهمت هذه المجمعات في محو كل المدينة التاريخية ـ تقريباً ـ من المشهد الطبيعي. وكما ذكر في الاندبندنت في أغسطس الماضي، فإن المدن التاريخية (مكة والمدينة) باتت عرضة لهجوم غير مسبوق من قبل المتشددين الدينيين وأعوانهم التجار.

في ردّه الخطي على المقالة المنشورة في الصحيفة، قال الامير تركي الفيصل بأن السعودية كانت تنفق أكثر من ١٩ بليون دولار (١١ بليون جنيه استرليني) للحفاظ على وصيانة الحرمين الشريفين. يقول الامير تركي (إننا ندرك أهمية الحفاظ على هذا التراث، ليس فقط لأن ملايين من المسلمين حول العالم تزور الحرمين الشريفين كل عام. إنه من الصعب الى حد ما بأن نقوم بالسماح بتدمير التراث).

إن هذا الرد يقف على النقيض مع سلسلة الصور التي لم تُشَاهَد من قبل، والتي توثّق عملية تدمير المواقع الأثرية الرئيسية واستبدالها بناطحات السحاب.

لقد شنّت السلطات الدينية السعودية لعقود طويلة حملة التدمير التي مهّدت الطريق للبنّائين للبدء بتشييد فنادق ومطاعم ومراكز تجارية ومجمعات شققية ضخمة وفارهة، بمعدل لا يمكن رؤيته خارج دبي. إن القوة الدافعة وراء هذا التدمير التاريخي هي الوهابية، العقيدة الصارمة للدولة التي جاءت بها عائلة آل سعود حين قام ابن سعود بغزو الجزيرة العربية في العشرينيات من القرن الماضي.


جبل النور، الطريق إلى كهف حراء، الهدف القادم للوهابيين. هنا قيلَ بأن النبي استلم الآيات الأولى للقرآن. رجال الدين المتشدّدون يُريدون تحطيمه ليتوقف الحجاج عن الزيَارَة. في أسفل التلّ هناك فتوى وهابية: (النبي محمد صلى الله عليه وسلم لَمْ يَسْمحْ لنا لصعود هذا التلّ، ولا الصلاة هنا، ولا مس الأحجارَ، ولا ربط العقدَ على الأشجارِ).

يعيش الوهابيون في خوف تعصبي حيث أن المواقع ذات المقام الديني أو التاريخي قد تفضي الى صعود الاشكال البديلة للحج والعبادة. إن هوسهم بمحاربة عبادة الاصنام قد أطاح بكل الادلة من ماض لا يتفق مع تفسيرهم للاسلام.

يقول عرفان أحمد العلوي، رئيس

حقاً إنه عارٌ .. عارٌ هذا المخطط المتواصل لإزالة آثار التاريخ والرسالة من مهبط الوحي دونما رادع من ضمير أو وعي

مؤسسة التراث الاسلامي، المصممة للمساهمة في حماية المواقع المقدّسة، بأنه في حالة قبر آمنة بنت وهب، أم النبي (محمد صلى الله عليه وسلم)، والذي تم العثور عليه في سنة ١٩٩٨، هي مألوفة حيال ما حدث. يقول العلوي: (لقد سوّي القبر بالأرض في أبوا وقد صبّ الجازولين عليه. وبالرغم من أن آلاف العرائض من أرجاء العالم الاسلامي قد أرسلت، ولكن لا شيء أمكن إيقاف هذا الفعل).

واليوم هناك أقل من ٢٠ مبنىً بقي في مكة، يعود تاريخها الى زمان النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) قبل ١٤٠٠ سنة. ويشمل هذا التاريخ المفقود بيت خديجة،

زوج النبي (صلى الله عليه وسلم)، الذي تم تدميره لفتح طريق أمام المراحيض العامة، وبيت أبي بكر، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، والذي أصبح الآن موقع فندق هيلتون، وبيت علي العريضي، حفيد النبي صلى الله عليه وسلم، ومسجد أبو قبيس، وهو الآن موقع قصر الملك في مكة.

يبقى، أن نفس هذه السلالة الغنية بالنفط والتي ضخَّت المال في نظام طالبان، الذي قام بتدمير تمثال بوذا باميان في أفغانستان قبل ست سنوات قد تفادت حتى الآن إنتقاداً دولياً إزاء ممارسات مماثلة من التخريب في الداخل. تقول مي يماني، مؤلفة كتاب (مهد الاسلام) بأنه قد حان الوقت بالنسبة للحكومات الاسلامية الاخرى أن تتجاهل الثروة النفطية لآل سعود، وأن تمارس نفوذها بقوة وتفصح عن رأيها بصراحة. تقول يماني إن ما يثير القلق حول هذه القضية، أن العالم لا يُخضِع رعاية آل سعود للحرمين المسلمين تحت المسائلة. إنها المواقع التي تحظى بأهمية خاصة بالنسبة لأكثر من مليار مسلم ولكن التجاهل مازال سائداً حيال تدمير هذه المواقع. فحين تعرَّض النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) للإهانة من قبل رسامي الكاريكاتير الدنماركيين، خرج الآلاف من الناس الى الشوارع للاحتجاج. فالمواقع ذات الصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم هي جزء من تراثهم ودينهم ولكننا لم نشهد إهتماماً من أي نوع من قبل المسلمين، حسب يماني.

قد يغفر للناس العاديين، وفي بعض الحالات حتى أعضاء في مجلس الشيوخ الاميركي حين يعتقدون بأن العائلة المالكة في السعودية هي الراعية للحرمين الشريفين في زمن ماض. وفي الحقيقة، قد يصدق ذلك على ما قبل ٨٠ سنة منذ ان قام زعيم القبيلة ابن سعود باحتلال مكة والمدينة. فقد التزمت عائلة آل سعود بالوهابية منذ أن وقع المصلح الديني محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر معاهدة مع محمد بن سعود في سنة ١٧٤٤. فقد ساعد المحاربون المتحمِّسون الوهابيون في احتلال مملكة لصالح الزعماء القبليين. وقد حصل آل سعود على الثروة والسلطة، فيما حصل العلماء على أداة الدولة التي هم بحاجة اليها لنشر ايديولوجيتهم الاصولية حول العالم. لقد كان حاكم هذه المملكة الناشئة بحاجة الى المشروعية الممنوحة له عبر تنصيب نفسه (خادم الحرمين للشريفين).

ولكن هذه المشروعية تمت بثمن باهض على حساب التنوع بين المسلمين الذين ينظرون الى مكة كمصدر هداية. وفور إحكام ولايتهم على هذه المواقع، لم يوفر الوهابيون وقتاً من أجل فرض رقابة على الحج. ففي حدود عام ١٩٢٩، لم يسمح للحجاج المصريين من الاحتفال بطقوس المحمل، وأن أكثر من ٣٠ حاجاً منهم قضى نحبه في تلك السنة. وقد تسببت تلك الحادثة في توتير العلاقات الدبلوماسية بين مصر والسعودية. وكان هناك قلة من الحكومات وقفت في وجه الوهابيين.

وبدلاً عن ذلك، فإن تحقيق الانسجام داخل مواقع الاسلام المقدَّسة قد سمح بإسراع عملية حملة التدمير التي تهدد الآن مكان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه. فقد شهد الموقع في وقت مبكر من عهد الملك ابن سعود قبل خمسين عاماً حين أقنع مصمم مكتبة عامة الحاكم المطلق بالسماح له بحفظ الآثار المتبقية تحت البناء الجديد. وتخطط السلطات السعودية الآن لتحديث الموقع بإضافة موقف للسيارات والذي يعني وضع خرسانة مسلَّحة فوق الآثار المتبقية.

الهوس السلفي بمحاربة عبادة الاصنام محثوثاً بشهوة الثروة لدى كبار الأمراء عجّل إطلاق حملة تدمير الآثار الاسلامية

وتحذِّر الدكتورة يماني بأن (آل سعود بحاجة الى لجم الوهابية على الفور). وتمثل مكة رمز تنوع المسلمين وهي بحاجة لأن تكون كذلك مرة أخرى. ولكن مع وجود أسعار النفط والفوائد، بمعدّلات مرتفعة، فإن هناك إشارة ضئيلة على أن آل سعود سيستمعون.

ويقول سامي عنقاوي، المعماري الحجازي الذي كرَّس حياته لبذل مجهود خالص من أجل الحفاظ على ما تبقى من تاريخ أعظم موقع للحج في العالم، بأن الوداع الأخير لمكة بات وشيكاً. فما نشهده ـ حسب عنقاوي ـ هو آخر أيام مكة والمدينة.



قبر السيدة خديجة: إنَّ الخرابَ في بداياته لبقايا قبرِ زوجةِ النبي، البقيع ، حطِّمَ في الخمسيناتِ. إنَّ شرطةَ المطاوعة الدينية حالياً تحرسه ليلاً ونهاراً لمَنْع أي واحد من وضع الزهورَ على الموقعِ، أَو حتى الصَّلاة بقربِ القبورِ.



مسجد السيد العريضي، بعمر ١٢٠٠ سنةً، موقع قبرِ حفيدِ النبي، يُرى هنا وهو يُنْسَفُ. إجتمع حول الموقعِ شرطةُ دينية سعوديةُ بأشمغتهم الحمراءِ المتميّزةِ.

خلافات أهل الحكم السعودي.. لم تعد سراً

تدور حرب مستعرة بين الملك السعودي عبدالله بن عبد العزيز، وبين السديريين السبعة، وعلى رأسهم وليّ عهده الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والمفتّش العام. ولم تعد هذه الحرب مجرّد حرب خفيّة، بل تظهر أبعادها في الاعلام السعودي، الذي يسيطر هؤلاء على ٩٠ بالمائة منه، وعلى رأسهم الأمير سلمان بن عبد العزيز، حاكم الرياض وأمير الاعلام السعودي.

لعلّ من أهم الأمثلة على الخلافات المستعرة بين الملك عبدالله وبين أشقائه السديريين، أنه أثناء زيارة الرئيس جاك شيراك للسعودية، وتأديته رقصة العرضه مع الملك، رفض وليّ العهد السعودي سلطان بن عبد العزيز التجاوب مع العروض الفرنسية للتسلّح، بعد أن كان الملك عبد الله قد وعد صديقه الرئيس شيراك، أن يتوجّه إلى فرنسا لشراء المزيد من السلاح، ويعود أحد وجوه الخلاف بين الملك عبد الله وولي عهده سلطان الى أن الأخير يريد تعيين إبنه خالد وزيراً للدفاع، لكن الملك يرفض ذلك. وقد اصطحب شيراك وزيرة دفاعه ميشيل إليو ماري، فلم يجتمع بها الأمير سلطان، بحجّة أنه يقوم برحلة استجمام في قصره في المغرب.. هذه الصفعة العلنية للملك من السديريين، بلعها عبد الله وسط عدم اكتراث من قبل الأمير سلطان باحتجاجات الملك عبد الله، بل سرّب الأمير سلطان أنه بصدد عقد صفقة أسلحة مع بريطانيا وأنها ستكون ضخمة..أضف إلى ذلك، أن الملك عبد الله قرّر أن يزوّد الحرس الوطني السعودي، الذي يعتبر ميليشيا تابعة له، بالطائرات الحربية. أي أن الملك عبد الله قرر توفير تغطية جوّيّة لميليشياته، بعد أن فقد الثقة بسلاح الطيران السعودي الذي يسيطر عليه الأمراء السديريون.

جولة آسيوية

وأضاف سلطان إهانة أخرى للملك عبد الله، عندما قرّر وليّ العهد السعودي ووزير الدفاع، القيام بجولة آسيوية، والتي استهلها بزيارة لليابان استغرقت ثلاثة أيام، ورافقته حاشية ضخمة، على رأسها الأمير فيصل بن سعود بن محمد، والأمير الدكتور مشعل بن عبد الله بن مساعد، المشرف على الدراسات بمكتب وزير الدفاع والطيران، وإبنه الأمير فيصل بن سلطان بن عبد العزيز، الأمين العام لمؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية، والدكتور مساعد العيبان وزير الدولة عضو مجلس الوزراء، وخالد القصيبي وزير الاقتصاد والتخطيط، والدكتور نزار عبيد مدني وزير الدولة للشؤون الخارجية.

وعقد صفقات عدّة مع شركة آي أوس هولدنغ التي يرأسها كيئي تشي كوناغا، وعدد آخر من الشركات التي تبلغ أكثر من ٥٤ شركة من الشركات الرائدة في اليابان.

وبعد اليابان قام الأمير سلطان بزيارة إلى سنغافورة وباكستان.

والغريب أنه كان في وداع الأمير سلطان، عند مغادرته مطار الملك خالد الدولي، الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، والأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، والأمير مقرن بن عبد العزيز رئيس الاستخبارات العامة، وكل من الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، والأمير فهد بن محمد بن عبد العزيز، والأمير متعب بن عبد العزيز وزير الشؤون البلدية والقروية، والأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير، والأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية، والأمراء والوزراء، كما كان في وداعه الفريق أول ركن صالح المحيا رئيس هيئة الاركان العامة، ونائب رئيس هيئة الاركان..

وبدأت مصادر سلمان، تتحدّث عن توقّع خبراء أن تلعب زيارة وليّ عهد المملكة الأمير سلطان بن عبد العزيز لليابان وسنغافورة، دوراً حيوياً في مسارات متعددة، على اعتبار أن الزيارة تحمل أبعاداً مختلفة، تبدأ بالسياسة ولا تنتهي عند الاقتصاد وحسب؛ وأن أبعاد الزيارة من الناحية السياسية، تتّفق مع توجّه سعودي يرمي إلى التنويع في العلاقات مع أطراف متعددة، استدعت توجّه البوصلة نحو آسيا، وهو توجّه يدعمه الثقل الاقتصادي، لمناطق لا يمكن تجاهل بروز دورها الفاعل على خريطة العلاقات الدولية.

من أجل افشال صفقة طائرات رافال الفرنسية سرّب الامير سلطان خبراً عن عقد صفقة تسليح ضخمة مع بريطانيا

وفي ما يتعلق بأبرز المسائل السياسية، التي يتوقع لها أن تحظى بنصيب الأسد من التشاور في هذه الزيارة، فيقول المسؤولون السعوديون أن ملف سلاح إيران النووي، يشكّل تهديداً للمنطقة، وأنه بالنسبة لليابان أو سنغافورة، فإن استقرار أسواقهما الاقتصادية سيتأثر بمدى استقرار المنطقة؛ في إشارة إلى أن هذه الزيارة ستخدم الجانب الاقتصادي بشكل أكبر، لا سيما أن العلاقات اليابانية ـ السعودية التاريخية ترتكز بشكل أساسي على عنصر النفط، حسب رأيه.



الاقتصاديون بدورهم، يرون أن الزيارة ستصحح مسار العلاقة التجارية بين السعودية واليابان، التي بدأت تشهد نوعاً من الانحسار في ظل اندفاع بعض الدول، لتوسعة استثماراتهم في السعودية، فيما تلخصت رؤيتهم، في ما يخص الجانب السنغافوري، في أن الزيارة ستوجه المزيد من الاستثمارات السنغافورية للسعودية؛ وأن الزيارة ستضاعف الحركة التجارية مع السعودية بشكل خاص، وهو ما يطمح إليه اليابانيون، لافتاً إلى أن السعودية تتصدر قائمة الدول العالمية المهمة بالنسبة لليابان في الجانب الاقتصادي، حيث ترغب في تعزيز مكانتها كثاني أكبر مستثمر في السعودية، بعد الولايات المتحدة الأميركية.

وتوضح التقارير الرسمية السعودية، أن حجم استثمارات اليابانيين في السعودية ٣،٦ مليارات دولار (١٣،٦ مليار ريال)، في ما سجلت الاحصائيات الأخيرة، حول حجم التبادل التجاري بين السعودية واليابان، أن الأخيرة تصدّر نحو ١٤،٣ مليار ريال، مقابل صادرات سعودية





تتجاوز ٤٩ مليار ريال. وتأتي زيوت النفط الخام، وغازات النفط، والبولي إيثيلين وزيوت المحرّكات، على رأس صادرات المملكة لليابان، وتستورد منها السيارات الصغيرة والشاحنات والاطارات وقطع الغيار.

خلاف حول سورية

لكن الخلافات لا تقتصر على الصفقات العسكرية، بل بدأت تحيّر الدول العربية التي تبدو حليفة للسعودية، مما دفع الملك عبد الله إلى إلغاء مشاركته في القمة العربية لأنه محرج، ولأن صديقه الرئيس السوداني قد وعد الرئيس الأسد أن تقف الحملات في لبنان ضد سورية، والمدعومة من قبل قوى ١٤ آذار، التي تُعتبر امتداداً سعودياً في لبنان، لأن الملك عبد الله وعده بالسيطرة على هذا الملف. وقد استدعى الملك عبد الله رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة إليه، وأمره

فيما يحاول الملك تسوية الخلاف السوري اللبناني يقف الجناح السديري الى جانب قوى ١٤ آذار بدعم من واشنطن

بإنهاء الملف السوري، ووقف الحملات الاعلامية ضد سورية، فكان كلام السنيورة مخالفاً للكلام الذي سمعه عبد الله من قيادة قوى ١٤ آذار والأكثرية النيابية، التي كانت قد وعدته خيراً، وتحوّلت الوعود بالخير بعد لقاء السنيورة إلى تصعيد سافر ضد سورية، بل جرى اللجوء إلى واشنطن للحصول على الضوء الأخضر ضد دمشق، وقد زار السنيورة واشنطن في ١٨ من الشهر الحالي.

وهذا ما دفع الرئيس السوري بشار الأسد إلى إرسال وزيرة المغتربين السورية بثينة شعبان والسفير السوري بالسعودية أحمد نظام الدين للاجتماع بالأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير الرياض، بمكتبه في قصر الحكم، وتقديم العتب له على استمرار الحملة اللبنانية على سورية التي قالوا إنها بدعم سعودي.

عن المشاهد السياسي ١٦ ابريل ٢٠٠٦

صالح صديق كمال

هو صالح بن صديق بن عبد الرحمن كمال الحنفي (١٢٦٣هـ - ١٣٣٢هـ)، المدرس بالمسجد الحرام. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم وجوده وصلى به التراويح في المسجد الحرام، وحفظ بعضاً من المتون وعرضها على والده، ثم شرع في طلب العلم، فلازم الشيخ عبد القادر خوقير فتفقه عليه، وأخذ التفسير والحديث وعلوم اللغة العربية عن السيد أحمد دحلان وأجازه بسائر مروياته، وقرأ على الشيخ رحمة الله مؤسس المدرس الصولتية، وأخذ النحو والمعاني والبيان والعروض عن السيد عمر الشامي البقاعي. ولما تفوق في العلوم أجيز بالتدريس بالمسجد الحرام، فتصدر له وعقد حلقته في حصوة باب النبي فذاع صيته وتناقلت الألسن غزارة علمه وورعه وتقواه وحبه لفعل الخير.

وفي سنة ١٢٩٧هـ تولى القضاء بجدة، فظل عامين ثم اعتذر عن الإقامة بجدة لشوقه الى المسجد الحرام ومشاهدة الكعبة المعظمة، فرجع الى مكة المكرمة وأخذ ينشر العلم.

وكان شريف مكة إذ ذاك الشريف عبد المطلب بن غالب يقدره ويجله ويستشيره فيما يعرض عليه من المشكلات، ولما توفي الشريف عبدالمطلب غسله الشيخ محمد صالح كمال وكفّنه تنفيذاً لوصيته، ولما ولي إمارة مكة المكرمة الشريف عون قرّبه منه وصار يستضيء برأيه وولاه الإفتاء والإمامة والخطابة.

وكان قضاة مكة المكرمة يعينون من استانبول؛ وفي سنة ١٣٠٥هـ توفي نائب المحكمة فاختير صالح كمال نائباً لمحكمة مكة المكرمة، وقام بجميع الوظائف التي أسندت اليه في إخلاص وأمانة.

وممن أخذوا عنه السيد محمد المرزوقي (أبو حسين) وكان إذ ذاك أمين فتواه، والسيد علي كتبي والشيخ سعد الله الهندي والشيخ علي بدري، والشيخ أمان الله وابنه الشيخ يحي أمان وغيرهم من علماء المسجد الحرام.

توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: تبصرة الصبيان في الفقه الحنفي. رسالة في مقتل سيدنا الحسين، ورسالة في إسقاط الصلاة (١).

والده

صديق بن عبدالرحمن كمال الحنفي، المكي (... - ١٣٨٤هـ). كان إماماً محدّثاً، مفسراً، فرضياً. ولد بمكة المكرمة وقرأ في المعقول والمنقول على علماء عصره. منهم الشيخ عمر عبد رب الرسول السيد ياسين ميرغني، والشيخ حمزة عاشور المكي، والشيخ محمد صالح ريس، والشيخ عبد الله سراج، والشيخ عبد الرحمن جمال الكبير، والشيخ محمد السنوسي، وقد لازمهم وأخذ عنهم، ومهر في العلوم. وكان كريم الطبع، حسن الأخلاق، لطيف المذاكرة، توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٢).

أخوه

علي بن صديق كمال الحنفي المكي (١٢٥٣هـ - ١٣٣٥هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وطلب العلم وأخذ عن والده في الفقه وغيره، ولازم كثيراً من علماء الهند الذين يفدون الى مكة المكرمة وقرأ عليهم عدة فنون، ولازم السيد أحمد دحلان وقرأ عليه، وأخذ بالمدينة المنورة عن الشيخ ياسين الشامي واجازه، كما أجازه مشايخه إجازة عامّة، وأذنوا له بالتدريس فدرّس بالمسجد الحرام، وتولى القضاء بمحكمة جدة. وكان مشهوراً بالفتاوى والعفة والتواضع وحبه للفقراء والإجتماع بهم وإرشادهم وحل النزاع الذي يحدث غالباً بينهم. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٣).

(١) مرداد أبو الخير، عبدالله، مختصر نشر النور والزهر، ص٢١٩. وانظر عبدالجبار، عمر، سير وتراجم، ص ٢٣٣. وانظر قزاز، حسن عبد الحي، أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص ٢٨٢. وانظر غازي عبدالله بن محمد، نظر الدرر، ص ١٨٢.

(٢) مرداد ابو الخير، مصدر سابق، ص ٢٢٠، وعبد الجبار، عمر، مصدر سابق، ص ١٣٩، حاشية.

(٣) مرداد ابو الخير، مصدر سابق، ص ٣٨٢. وعبد الجبار، عمر، مصدر سابق، ص ١٣٩، وانظر غازي عبد الله، مصدر سابق، ٢٠١.

حين يتحول الحكم بيد عصابة

السلطة حين لا تحتكم الى قانون تتحول الى عصابة.
والعائلة التي تتحكم في سلطة ولا تخضع لقانون هي عصابة.
وممارساتها لا تختلف عن ممارسة العصابة.
لقد كتب حسن العلوي عن (دولة العصابة السريّة) في عهد صدام حسين.. والعراق اليوم هو أيضاً ـ بسبب غياب القانون وتغوّل الميليشيات ـ لازال يعيش دولة العصابة أو العصابات السريّة والعلنيّة.
والدولة السعودية، من حيث الممارسة هي دولة عصابة، وتنطبق على حكامها صفة العصابة، وعلى ممارسات العائلة المالكة ما تمارسه العصابات والمافيات في كل أنحاء الدنيا.
السعودية بلد اللاقانون، وإن تذرّع آل سعود بشعارات تطبيق الشريعة التي لا يلتزمون بها. وهي البلد الاقل في انتاج القانون وتطبيقه، وحين يغيب القانون ـ أي قانون ـ سوى من حيث عدم الوجود في الأصل، أو من حيث الوجود ولكن مع عدم التطبيق، لا يبقى توصيف أفضل للحكم من صفة العصابة.
ولنضرب هنا مثلاً واحداً بسيطاً وواضحاً ومعروفاً غير قابل للجدل.
اليوم هناك من يتحدث عن نهب نفط العراق، البلد الوحيد الذي لا توجد فيه صنابير تقيس حجم المادّة النفطية المصدرة. وبعضنا يتعجب من سرقات النفط، ولكنهم لا يدركون أن النفط السعودي يسرق بأسوء مما يجري في العراق نفسه.
الجميع يعلم أن الأمراء الكبار، والأميرات من بنات الملك المؤسس لهم حصص ثابتة من النفط المصدر بشكل يومي. ولعل ما نُشر مؤخراً من أن ثروة الملك عبدالله قد وصلت الى عشرين ملياراً من الدولارات (نحو ثمانين مليار ريال سعودي) تعود في اكثرها الى حصّته من النفط (مئات الآلاف من البراميل تباع له يومياً). ولذا فإن ما لدى سلطان ونايف والأمراء الآخرين من ثروات تصل الى رقم أعلى بكثير من هذا، كونهم سراق أراضي أيضاً، وهذا لا يحتاج الى شواهد، فكل الأراضي صارت ملكاً لهم يبيعونها على الناس كما هو معروف.
وقصة تحصيص النفط على بعض الأمراء معلومة ومنشورة وثائقها، وقد سبق أن نشرت في بعض الكتب العربية (ما نشره هيكل مثلاً).
ومعلوم أن سلطان سرق من خزينة الدولة عشرات ـ إن لم يكن مئات ـ المليارات من الدولارات، تحت مسمّى مشروع (الخزن الإستراتيجي) حيث حوّل الى حسابه قيمة مائتي الف برميل يومياً منذ سنوات عديدة، باسم ذلك المشروع وحده، هذا غير الحصص الأخرى.
ذات الأمر فعله الملك فهد حين خصص ما يقارب نفس الحجم من البراميل بحجة (توسعة الحرمين الشريفين) وقد استولى الطفل المعجزة (عبدالعزيز بن فهد) على الصندوق طيلة مرض أبيه، ويقال أن عبدالله قد أوقفه مؤخراً.
وعبدالله ـ الملك الحالي ـ كان يحول الى حسابه فيما يحول، تخصيص ما قيمته ثلاثة مليارات دولار من النفط لصالح إنعاش الوضع في الصومال، وقد استولى عليها كلّها، وهناك مخصصات أخرى. وهكذا النهب.
ومن أراد أن يدرك حجم النهب، فليقرأ مقالة (فين الباقي) في هذا العدد.. وليقارن المواطن بحساب عادي بين مدخولات الدولة من النفط الحقيقية (٩ مليون برميل معدلاً في ٦٥ دولاراً قيمة البرميل معدلاً مضروبة في ٣٦٥ يوماً) ولينظر بعدها الى حجم الميزانية السعودية ليكتشف ان قيمة مئات الآلاف من البراميل دخلت في جيوب الملك والأمراء (ويقدر بنحو ٣ مليون برميل يومياً منهوبة).
لا شك أن هناك عصابة تدير الدولة، الملك جزء هامشي فيها، والأصل هي العصابة السديرية المتحكمة في كل مناحي الحياة السياسية. وهي تتحرك كمافيا لا يحكمها قانون ولا اخلاق ولا ضمير، وتمارس القتل والسحل والتطفيش وكل العقوبات وعلى كل الأفراد. إنهم هم القانون، وبمكالمة تلفون تدار الدولة وبقرار واحد من الأمراء الثلاثة: نايف وسلطان وسلمان.
فهل نحن أمام دولة أم عصابة؟
العصابة صغيرة الحجم، ولا تريد لاعبين كثر، حتى وإن كانوا أعضاء في العائلة المالكة (ويشرفهم) الدخول كلاعبين كومبارس!
والعصابة تقوم في عملها على مبدأ المؤامرة والسريّة، والتخلص من غير المرغوب فيهم حتى وإن كان الملك ـ عبدالله (اقرأ مقالات الغلاف هذا العدد).
والعصابة تبث سمومها وفسادها في كل جهاز الدولة، حتى أنك لا يمكن أن تجد مكاناً في أجهزة الدولة لغير الفساد، ولغير أمير عابث، حتى جهاز التعليم الجامعي والقضاء فضلاً عما يجري في المالية وسوق الأسهم والأراضي وصفقات الأسلحة وغيرها.
فلا يغضبن أحدٌ إن وصفنا حكم آل سعود بأنه حكم عصابة، فهذا أفضل وصف يستحقه.

الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhejazi.net/

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبة الحجاز: هموم المرحلة وتحديات المستقبل



زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

من نافلة القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولة تتمتع بكل أجهزة الدولة الحديثة هو الأكثر إخافة لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينية، وتبقى دعوتهم المتطرفة في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسة أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.

وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعودية ودعوته الدينية المتطرّفة بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوة أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضة لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالة ومساواة، قائمة ومستمرة.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوة الذي يبديه متطرفو الوهابية وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.



(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوة التوحيدية الفريدة الذي نجح في تشكيل وحدة اجتماعية وسياسية منسجمة في منطقة نجد. فقبل ظهور الدعوة الوهابية

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ

مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينة المساجد السبعة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة.

وهناك روايات حديثية لابن شبة تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدة مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد



My Computer

http://www.alhejazi.net الحجاز على الانترنت



لوحة للفنانة صفية بن زقر